إشكالات قرآنية

أسئلة وردود

حيدر كامل



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

الاشكالات القرآنية

أسئلة وردود

الاشكالات القرآنية

أسئلة وردود

اعداد
حيدر كامل

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى المخلصين في بحثهم عن الحقيقة ...

إلى المتعطشين لكلمات الله في كتابه الكريم

أُهدي كتابي ...

حيدر كامل

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور - ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel – Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن كشف عدم الاختلاف وعدم التناقض بين الآيات القرآنية المختلفة يحتاج إلى تدبر عميق، وتأمل كبير. فالقرآن يفتح للناس أبواب التدبر الذاتي في قضايا عميقة منه ويدعوهم إلى ذلك. وتؤكد الروايات وتأمر بالتأمل بالقرآن الكريم، من أجل استخراج معارفه وكنوزه الدفينة. ففي الحديث المروي عن النبي ﷺ قال: أعربوا القرآن، أي أحكموا إعراب الكلمات والجمل، والتمسوا غرائبه، أي تأملوا فيه، وتفهموا معانيه الغريبة.

ففي الكافي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر ما فيها.

ويؤكد القرآن: أن هناك أقفالاً معينة تغلق قلوب البشر، وتصرفهم عن التدبر في آياته، فيقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾، كذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾، إنها أقفال الجهل والهوى وكما كانت هذه الأقفال

قديماً، فهي موجودة حديثاً، ولكن بصور حديثة، وشعارات جديدة. وعلينا أن نحطم هذه الأقفال، ونفتح قلوبنا أمام نور الله المضيء عن طريق التدبر في الآيات القرآنية الكريمة.

والتدبر في كلمات القرآن هو التأمل في الآيات، والتدبر في كلمات الله. عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه. وقد ورد الأمر بترتيل القرآن لأنه أقرب إلى التركيز والتأمل، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾، قال: بيِّنه تبييناً ولا تهذّه هذّ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يقرأ أحدهم القرآن في شهر واحد أو اقل، إنَّ القرآن لا يُقرأ هذرمة، ولكن يرتل ترتيلاً، فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسأل الله الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار.

وفي حديث آخر أن الإمام الرضا عليه السلام كان يقرأ القرآن في فترة غير قصيرة، وعندما سُئل عن ذلك أجاب: ما مررت بسورة إلا فكرت في مكيتها ومدنينها وعامّها وخاصها وناسخها ومنسوخها. اذن هي دعوة ضمنية إلى التدبر في آيات القرآن، واستنباط الأحكام والقيم الإسلامية منها، فالقرآن نزل حجة على الرسالة، وقد تحدى النبي صلى الله عليه وآله البشر أن يأتوا بسورة من مثله، ومعنى ذلك أن العرب كانوا يفهمون القرآن من ظواهره، ولو كان القرآن من قبيل الألغاز لم تصح مطالبتهم بمعارضته، ولم يثبت إعجازه لأنهم ما كانوا يستطيعون فهمه. ولقد استوعب المسلمون الأولون معاني كثيرة من الآيات،

وفهموها بمجرد نزولها عليهم، باستثناء آيات معينة سألوا النبيﷺ عنها، ولم يتعاملوا يوماً مع آيات القرآن تعاملهم مع الأحاجي والألغاز. ولا بد من أن أُشير إلى نقطة هامة وهي: أن الاستنباط من آيات الأحكام ونحوها لا تحصل إلا ببلوغ الإنسان مرحلة الاجتهاد، فالتدبر في هذه الآيات يكون وقفاً على المجتهدين بالطبع، أما التدبر في الآيات الأُخرى فهو أمر مفتوح للجميع. وهنالك كثيرون يقرأون القرآن وأدمغتهم مشحونة بالأفكار والرؤى والمفاهيم المسبقة، لذلك فهم لا يرون القرآن إلا من خلال أفكارهم، ولا يجدون في القرآن إلا ما يؤيد هذه الأفكار. تماماً كالذي يضع على عينيه نظارة سوداء، أنه يرى الأشياء بلون نظارته. وكذلك هؤلاء، فهم يرون آيات القرآن بلون المفاهيم القابعة في عقولهم. إنهم يحاولون فهم القرآن كما تقتضي اتجاهاتهم وأفكارهم، بدل أن يكونوا تلامذة متواضعين بين يديه، إنهم يحاولون توجيه القرآن على حسب ما تقتضيه أفكارهم، بدل أن يحاولوا تهذيب أفكارهم على حسب ما تقتضيه مفاهيم القرآن الرفيعة.

وأمثلة ذلك كثيرة، وأول ما نجده في هذا المجال هو: تفسير القرآن الكريم على حسب الأفكار العقائدية المسبقة، كما نلمس في أصحاب مذاهب من أمثال الأشاعرة أو الباطنية أو غيرهم.

وهذه الطوائف كانت تحمل آراء خاصة في الله وصفاته الثبوتية وصفاته السلبية وغير ذلك، وعندما اصطدمت عقائدها بالقرآن أخذت تفسر الآيات القرآنية على حسب آرائها السابقة.

ونجد كذلك تفسير آيات القرآن حسب الفكر الصوفي والذوق العرفاني - بشكله المنحرف - والذي جاء من أجل تدعيم أفكار

هذين الاتجاهين، وإعطائهما صبغة شرعية. فيفسر بعض العرفاء قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾، بأن المقصود من فرعون ليس شخصاً معيناً، بل المقصود به القلب القاسي، وهذه الآية تشير إلى مجاهدة هذا القلب.

كذلك تفسير القرآن الكريم حسب الفكر المادي، والذي حدث متأثراً بالفترة التي أخذت الحضارة الغربية تخطو فيها خطوات واسعة في المجالات العلمية والتكنولوجية، مما أبهر بريقها عيون بعض المسلمين. هؤلاء أخذوا يفسرون القرآن بطريقة خاصة ترك الاتجاه المادي بصماته واضحة عليها. إن كل هذه الأنواع من التلاعب بمعاني القرآن الكريم، وتوجيه الآيات القرآنية على حسب الأفكار العقائدية المسبقة أو الأفكار الصوفية والعرفانية أو الاتجاهات المادية، ويدخل في هذا المجال التسرع في تفسير الآيات القرآنية على حسب ما يظهر للفرد في بادئ الرأي، ووفق ما توحي إليه ظنونه الأولية من دون الاستيقان ومن دون الرجوع إلى سائر الآيات والروايات الواردة في ذلك الموضوع. ذلك لأن الرأي في اللغة العربية يعني: الظن والتخمين - كما تشير إليه بعض المصادر. فالتفسير بالرأي - وفقاً لهذا الاحتمال - يعني: أن يفسر القرآن بسبب بعض الظنون السيئة التي لم تنضج بعد، رغم ﴿ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾، كما يؤكده القرآن الكريم.

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن امرأة على عهد عمر بن الخطاب كانت تمارس الجنس مع مملوكها، وهذا بالطبع أمر محرم في نظر الإسلام، فذُكر ذلك لعمر، فأمر أن يُؤتى بها، ولما جاءت،

سألها: ما حملك على ذلك؟ فقالت: تأولت آية من كتاب الله، وهـــــي: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [المعارج: ٢٩-٣٠].

وفي بعض الروايات: كنت أراه يحل لي بملك يمين كما يحل للرجل المرأة بملك اليمين.

ومن هذا القبيل أن يقرأ الإنسان قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴿٢٥٤﴾﴾، فيبادر إلى القول: إن فكرة الشفاعة هي فكرة خرافية، وإن القرآن قد نفاها من الأساس. أو يرى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾، فيتصور الله جسماً قد تربع على عرشه العظيم. إن هذا الشكل من الفهم المتسرع للآيات القرآنية - على حسب ما يقتضيه الظن والتخمين، وبعض الاستحسانات العقلية - هو ما نهت عنه الروايات.

هذا بالاضافة الى فهم آيات القرآن الكريم المرتبطة بالأحكام والآيات المتشابهة والآيات المجملة وما شابه بعيداً عن روايات أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وبدون توفير قاعدة علمية رصينة تؤهل الإنسان للاستنباط، ذلك لأنه في عهد الرسالة كان النبيﷺ هو الذي يشرح للمسلمين الآيات الغامضة المبهمة، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾﴾، ولكن، ماذا بعد رحيل رسول اللهﷺ؟ لقد خلف النبيﷺ من بعده كتاب الله والعترة، وقد قرن النبيﷺ القرآن بالعترة في أحاديث كثيرة، من هنا فإن أية محاولة للفصل بينهما هي محاولة خاطئة، ويؤيد ذلك أن كثيراً من الروايات التي ورد فيها النهي عن

التفسير بالرأي جاءت رداً على أولئك الذين كانوا يحاولون فهم القرآن بعيداً عن أهل البيت(ع). كما جاءت مجموعة من الروايات في هذا الصدد منها:

ما روي عن أبي عبد الله الصادق(ع): إنما هلك الناس في المتشابه، لأنهم لم يقفوا على معناه، ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم، واستغنوا عن مسألة الأوصياء فيعرّفونهم.

ومنها ما روي عنه(ع) أيضاً: إنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض، واحتجوا بالمنسوخ، وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالخاص، وهم يظنون أنه العام، واحتجوا بأول الآية، وتركوا السنة في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح به الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلوا وأضلوا. وهكذا، نجد أن فهم القرآن - في طوائف من الآيات - بشكل مستقل وبعيداً عن أهل البيت أو بدون توفر القاعدة العلمية الكافية والمتمثلة في الوصول إلى درجة الاجتهاد يعتبر تفسيراً بالرأي وذلك مما نهى عنه الأئمة(ع) في كثير من الاحاديث الواردة عنهم او تفسيراً بالظن الشخصي الذي لا يغني من الحق شيئاً ولذلك نجد ان الروايات التي تنهى عن ذلك لا تقصد النهي عن التدبر في القرآن الكريم وانما تنهى عن تفسير القرآن بالرأي الشخصي النابع من الذات لا من الواقع بمختلف صوره وأشكاله.

لقد أخطأ الكثيرون في فهم الآيات القرآنية، وانحرفوا بذلك عن سواء السبيل، أما عندما يكون الفرد تلميذ القرآن المتواضع، ويكيف أهواءه وأفكاره وفق قيم القرآن ومبادئه وليس العكس، ويتأنى

في تقبل ما يخطر على باله من أفكار، ويعود إلى أهل البيت عليهم السلام فيما تشابه عليه، ويوفر في ذاته القاعدة العلمية الرصينة فيما يتوقف فهمه على وجود مثل تلك القاعدة، عندئذ تقل نسبة الخطأ في فهم القرآن إلى حدود كبيرة، ويمكن أن تنعدم بالتالي.

إن القراءة الغير واعية للقرآن لا تعني أكثر من كلمات يرددها اللسان دون أن تؤثر في واقع الفرد التأثير المطلوب، أما التلاوة الواعية فهي تتجاوز اللسان لكي تنفذ إلى القلب، فتهزه، وتؤثر فيه.

لقد كان أولياء الله العارفون يتلون القرآن بوعي، فكانت جلودهم تقشعر، وقلوبهم ترتجف حين يقرأون آية، بل ربما كانوا يصعقون لعظم وقع الآية في نفوسهم.

لقد تلا الإمام الصادق عليه السلام آية في صلاته ورددها عدة مرات، فصعق صعقة، ووقع مغشياً عليه، ولما أفاق سئل عن ذلك، فقال: لقد كررتها حتى كأني سمعتها من المتكلم بها، فلم يثبت لها جسمي، لمعاينة قدرته. وكانت الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

إن التدبر لحظاتٍ في القرآن الكريم كان منعطفاً لتغيير كبير في حياة الكثيرين، فلذلك كان التدبر في القرآن هو الطريق لفهم قيم القرآن وأفكاره ومبادئه كما أنزلها الله سبحانه.

إن هناك خيارات صعبة وعديدة تطرح أمام الفرد وأمام الأمة كل يوم لاختيار الطريق السليم ومن بين هذه الخيارات يبرز كتاب الله الذي لابد من الرجوع إليه، والتدبر في آياته.

ومن هنا يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ

﴿أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾، وهنالك مشاكل كثيرة يصطدم بها الإنسان في حياته سواء المشاكل الفردية التي لا تتعدى إطار ذاته أو المشاكل الاجتماعية التي تصيب الجميع، والقراءة الواعية للقرآن الكريم، والتدبر في آياته يقومان بدور مزدوج في هذا المجال، فهما يقومان - من جانب - بتطهير ما علق بنفس الإنسان من سلبيات - ومن هنا يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ ويقومان - من جانب آخر - بوضع البرامج السليمة للخروج بحل ناجع لهذه المشاكل. هذا بالاضافة إلى أن التدبر في القرآن هو الطريق للعمل بما جاء فيه، وذلك لأن العمل بالقرآن يتوقف على فهمه، وفهم القرآن لا يمكن إلا بالتدبر في آياته. ومن هنا فإن الذين لا يتدبرون القرآن ربما يفوتهم تطبيق الكثير من مبادئ الدين في حياتهم العملية وهم لا يشعرون.

لقد عظم الله شأن القرآن، وفصل بيانه بالنظم العجيب والتأليف الرصيف على سائر الكلام، وإن وافقه في مبانيه، ومعانيه ثم أودعه من صنوف الحكم، وفنون الآداب، وجوامع الأحكام والسير، وطرائف الأمثال والعبر، ما لا يقف على كنهه ذوو القرائح الصافية، ولا في بعد فوائده أولو المعارف الوافية.

ومن أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام. ومن الكلام الموجز المعجز الذي نطق به القرآن قوله عزّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾، فاستقاموا كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والانزجار.

وذلك لو أن إنساناً أطاع الله سبحانه مائة سنة ثم سرق حبة واحدة لخرج بسرقتها عن حد الاستقامة، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾، فقد أدرج فيه ذكر إقبال كل محبوب عليهم وزوال كل مكروه عنهم ولا شيء أضر بالإنسان من الحزن والخوف لأن الحزن يتولد من مكروه ماض أو حاضر والخوف يتولد من مكروه مستقبل فإذا اجتمعا على امرئ لم ينتفع بعيشه بل يتبرم بحياته. والحزن والخوف أقوى أسباب مرض النفس كما أن السرور والأمن أقوى أسباب صحتها، فالحزن والخوف موضوعان بإزاء كل محنة وبلية، والسرور والأمن موضوعان بإزاء كل صحة ونعمة هنية.

ومن ذلك قوله عز اسمه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، فالأمن كلمة واحدة تنبئ عن خلوص سرورهم من الشوائب كلها لأن الأمن إنما هو السلامة من الخوف. والحزن المكروه الأعظم. فإذا نالوا الأمن بالإطلاق ارتفع الخوف عنهم وارتفع بارتفاعه المكروه وحصل السرور المحبوب.

ومن ذلك قوله تعالى ذكره: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾، فهما كلمتان جمعتا ما عقده الله على خلقه لنفسه وتعاقده الناس فيما بينهم، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾، فلم يبق مقترح لأحد إلا وقد تضمنته هذه الآية مع ما فيها من القرب وشرف اللفظ وحسن الرونق.

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴿١٦٤﴾﴾، فهذه الكلمات الثلاث الأخيرة تجمع من أصناف

التجارات وأنواع المرافق في ركوب السفن ما لا يبلغه الإحصاء.

ومن ذلك قوله جل جلاله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾، ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها.

ومن ذلك قوله جل ثناؤه في وصف خمر الجنة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾، فهاتان الكلمتان قد أتتا على جميع معايب الخمر ولما كان منها ذهاب العقل وحدوث الصداع فقد برّأ الله خمر الجنة منها وأثبت طيب النفوس وقوة الطبع وحصول الفرح.

ومن ذلك قوله تبارك اسمه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾، وهو كلام يجمع جميع ما يأكله الناس مما تنبته الأرض.

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ﴾، وهو كلام يتضمن جميع ما يجب على الرجال من حسن معاشرة النساء وصيانتهن وإزاحة عللهن وبلوغ كل مبلغ فيما يؤدي إلى مصالحهن وجميع ما يجب على النساء من طاعة الأزواج وحسن مشاركتهم وطلب مرضاتهم وحفظ غيبتهم وصيانتهم عن خيانتهم.

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾، ويحكي عن أردشير الملك ما ترجمه بعض البلغاء فقال: القتل أنفى للقتل، وفي كلام الله تعالى كل ما في كلام أردشير الملك وفيه زيادة معان حسنة فمنها إبانة العدل بذكر القصاص والإفصاح عن الغرض المطلوب فيه من الحياة والحث بالرغبة والرهبة على تنفيذ حكم الله تعالى به والجمع بين ذكر

القصاص والحياة والبعد عن التكرير الذي يشق على النفس فإن قوله: القتل أنفى للقتل، فيه تكرير للفظة غيره أبلغ منه.

ومن ذلك قوله عز ذكره في إخوة يوسف: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾، وهذه صفة اعتزالهم لجميع الناس وتقليبهم الآراء ظهراً لبطن وأخذهم في تزوير ما يلقون به أباهم عند عودهم إليه وما يوردون عليه سن ذكر الحادث فتضمنت تلك الكلمات القصيرة معاني القصة الطويلة.

ومن ذلك قوله جلت عظمته: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾، فلو أراد أحد الأعيان الأعلام في البلاغة أن يعبر عنه لم يستطع أن يأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي يتضمنها حتى يبسط مجموعها ويصل مقطوعها ويظهر مستورها فيقول: إن كان بينكم وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة أو نقضاً فأعلمهم أنك نقضت ما شرطت لهم وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواء[1]

البلاغة والفصاحة

البلاغة هي أن يبلغ الرجل بعبارته كنه ما في نفسه، ولا يسمى البليغ بليغاً إلا إذا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل، وهو المسمى إيجازاً. وينقسم الإيجاز إلى قسمين:

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة - ابن فارس ج١ ص٤٢٣، والاعجاز والايجاز - ابو منصور الثعالبي ص٣٥٠.

إيجاز حذف

وهو أن يحذف شيء من الكلام وتدل عليه القرينة، كقوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾، والمراد أهل القرية، وكقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾، والمراد من قومه، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾، والمراد لا يطيقونه وأشباهه كثير.

إيجاز قصر

وهو تكثير المعنى وتقليل الألفاظ، كقوله تعالى لنبيه ﷺ مما جمع فيه شرائط الرسالة: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾، وسمع أعرابي رجلاً يتلوها فسجد[1] وقال: سجدت لفصاحته، ذكره أبو عبيد، وقوله تعالى مما جمع فيه مكارم الأخلاق: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٣٠-٣١]، فجمع في ثلاث كلمات بين العنوان والكتاب والحاجة وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾، فجمع في هذا على لسان النملة بين النداء والتنبيه والأمر والنهي والتحذير والتخصيص والعموم والإشارة والإعذار؛ ونظير ذلك ما حكي عن الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم فقال لها: قاتلك الله، ما أفصحك، فقالت: أويعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾، فجمع في آية واحدة بين

---

(١) نهاية الارب في فنون الأدب ـ النويري ٤٣٠٣.

أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين[1].

ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبيﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾، قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر[2].

وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام.

اما البيان فقد قال أبو عثمان عمرو بن الجاحظ: البيان اسم جامع لكل ما كشف لك من قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقة اللفظ ويهجم على محصوله كائناً ما كان البيان، ومن اي جنسٍ كان الدليل، لأن مدار الامر والغايه التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيءٍ بلغت الإفهام واوضحت المعنىٰ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع[3].

وقيل لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ فقال: أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك كاشفاً عن مغزاك، وتخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ويكون سليماً من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة،

---

(١) المصدر نفسه ٤٣٠٥.

(٢) المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر - ابن الاثير الكتاب (١/ ١٠٠٠)، ودلائل الاعجاز في علم المعاني - عبد القاهر الجرجاني ص٥٥٢.

(٣) البيان والتبيين - الجاحظ (١/ ١٠٥).

بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأمل[1].

وقال آخر: خير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقيه وموجزاً ليخف على اللسان تعاهده.

وقال أعرابي: البلاغة التقرب من معنى البغية، والتبعد من وحشي الكلام وقرب المأخذ، وإيجاز في صواب، وقصد إلى الحجة، وحسن الاستعارة.

وقال الامام علي عليه السلام: البلاغة الإفصاح عن حكمة مستغفلة وإبانة علم مشكل.

وقال الامام الحسن بن علي عليه السلام: البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عورات الجهالات، بأحسن ما يمكن من العبارات.

وأما الفصاحة - فهي مأخوذة من قولهم: أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة. وقالوا: لا يسمى الفصيح فصيحاً حتى تخلص لغته عن اللكنة الأعجمية ولا توجد الفصاحة إلا في العرب.

وعلماء العرب يزعمون أن الفصاحة في الألفاظ والبلاغة في المعاني ويستدلون بقولهم: لفظ فصيح ومعنى بليغ. ومن الناس من استعمل الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد في الألفاظ والمعاني والأكثرون عليه. قيل لعمر بن عبيد: ما البلاغة؟ قال: ما بلغك الجنة، وعدل بك عن النار؛ قال السائل: ليس هذا أريد؛ قال: فما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك؛ قال: ليس هذا أريد؛ قال: من

(١) ديوان المعاني - ابو هلال العسكري (٢/ ٦٠٤).

لم يحسن أن يسكُت لم يحسن أن يسمع ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول؛ قال: ليس هذا أريد؛ قال: قال النبيﷺ: إنّا معشر النبيين بِكاء - أي قليلو الكلام، وهو جمع بكيء - وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله قال السائل: ليس هذا ما أريد؛ قال: فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن إفهام؛ قال: نعم، قال: إنك أن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسنة رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالمواعظ الناطقة عن الكتاب والسنة كنت قد أُوتيت فصل الخطاب.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال: معرفة الوصل من الفصل، وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: ألا يؤتى القائل من سوء فهم السامع، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل.

وقيل للخليل بن أحمد: ما البلاغة؟ فقال: ما قرب طرفاه، وبعد منتهاه.

وقيل لبعض البلغاء: من البليغ؟ قال: الذي إذا قال أسرع، وإذا أسرع أبدع وإذا أبدع حرك كل نفس بما أودع. وقالوا: لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك.

وسأل معاوية صحاراً العبدي: ما هذه البلاغة؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ.

وقال الفضل: قلت لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل.

وقال قدامة: البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة وهو مطابقة اللفظ المعنى لا زائداً ولا ناقصاً، والإشارة وهو أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة، والدليل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن يفهمه، ويتأكد عند فهمه.

قال بعض الشعراء:

يكفي قليل كلامه وكثيره   بيت إذا طال النضال مصيب

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد: البلاغة تكون على أربعة أوجه: تكون باللفظ والخط والإشارة والدلالة، وكل وجه منها حظ من البلاغة والبيان وموضع لا يجوز فيه غيره، ورب إشارة أبلغ من لفظ.

وقال رجل للعتابي: ما البلاغة؟ قال: كل ما أبلغك حاجتك وأفهمك معناه بلا إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ، قالوا: قد فهمنا الإعادة والحبسة فما معنى الاستعانة؟ قال: أن يقول عند مقاطع الكلام: اسمع مني، وافهم عني، أو يمسح عثنونه[1]، أو يفتل أصابعه، أو يكثر التفاته، أو يسعل من غير سعلة، أو ينبهر في كلامه[2].

---

(١) العثنون: طرف اللحية.

(٢) نهايه الارب - النويري ص٤٣١٢.

وفي العودة إلى القرآن وفصاحته فقد وضع الله سبحانه وتعالى في سور القرآن ما حير العقول واذهل الالباب ويسعدنا ان نقدم للقارىء الكريم بعض ما يستعصي عليه من الالفاظ ومن المعاني التي قد يستطيع منه الولوج إلى عالم الكلمة الفصيحة واللفظة البليغة آملين من الله العزيز الحكيم التوفيق.

حيدر كامل

الأجوبة الشافية

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

س - ما معنى الرحمن والرحيم، وما وجه تقديم الرحمن على الرحيم.

ج - الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصة، ووجه تقديم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن اسم خاص بالله، والرحيم اسم عام له ولغيره، وفي ذكر هاتين الصفتين في البسملة تأسيس لمباني الجود والكرم وتشييد لمعالم العفو والرأفة وإيماء إلى مضمون. «سبقت رحمتي غضبي». وتنبيه على أن الحقيقة بأن يستعان بذكره في مجامع الأمور، فهو الجامع لصفات الكمال البالغ في الرحمة غايتها المولي للنعم بأسرها عاجلها وآجلها[1].

(١) تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي ج١ ص٥٣، وتفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج١ ص١٤، وجامع البيان - ابن جرير الطبري ج١ ص٨٥.

س – ما معنى الحروف التي في بدايات السور.

ج – لقد اختلفت آراء المفسرين في معنى الحروف المتشابهة المفتتح بها السور، على وجوه ومذاهب شتى، قال الكفعمي: قلت اختلف في الحروف المفتتح بها السور على أقوال[1]:

الاول: أنها من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله، وهو المروي عن الأئمةعليهم السلام.

الثاني: أنها من أسماء السور ومفاتحها.

الثالث: أنّ المراد بها أسماء الله تعالى لأن علياًعليه السلام كان يقول في دعائه: يا كهيعص ويا حمعسق ولعله أراد يا منزلهما.

وخير الوجوه أنها من المتشابهات التي استأثرها الله تعالى بعلمه، ولا يعلم تأويلها إلا هو والراسخون في العلم وهم الرسول وعترته أهل بيته، وكل مدعٍ معنى لهذه الرموز لا شاهد له على دعواه، ولئن قلنا بهذه المقالةَ فهو خير من القول بما لا نعلم لأنه لم يثبت لدينا عن الله ولا عن الراسخين في العلم ما يوضح لنا ما تشابه علينا وما تتمخض به افكار بعض المفسرين فما هو إلا التعسف الذي لا يغني عن الحق فتيلاً.

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج ٨٨ ص ١٠ .

قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

س - كيف صح اسناد الختم إليه سبحانه وكيف يختم ثم يطلب منهم الطاعة وليس هذا إلا كما قال القائل: ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتل في الماء.

ج - إن قوله تعالى: (ختم الله) إخبار عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق كما يقال: فلان أصمّ عن هذا الكلام إذا امتنع عن سماعه ورفع نفسه عن تفهمه[1] ومعنى ختم: طبع على قلوبهم بكفرهم، وهم كانوا يسمعون ويبصرون، ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواسّ استعمالاً يُجدي عليهم، فصاروا كمن لم يسمع ولم يبصر ولم يعقل، كما قال الشاعر:

أصمُّ عمّا ساءه سميع

وأما قوله: على سمعهم فالمراد منه. على أسماعهم.

وقيل: فيه ثلاثة أوجه[2].

أحدها: أن السمع بمعنى المصدر، والمصدر حين يوحّد يراد به الجميع.

---

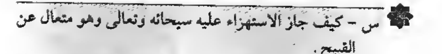
(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج١ ص٦٤ .

(٢) لسان العرب - ابن منظور ج٨ ص١٦٤ .

والثاني أن يكون المعنى على مواضع سمعهم، فحذفت
المواضع كما تقول: هم عَدْلٌ أي ذوو عَدْلٍ.

والوجه الثالث: أن يكون إضافته السمع إليهم دالاً على
أسماعهم؛ كما قال: في حلقكم عظم وقد شجينا
معناه: في حلوقهم.

ومثله كثير في كلام العرب. والمراد بالختم هنا العلامة فاذا انتهى الكافر في كفره إلى حالة يعلم الله أنه لا يؤمن معها فانه يعلم على قلبه وسمعه وبصره علامة، وهي نكتة سوداء تشاهدها ملائكة الحساب.


قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

س - كيف جاز الاستهزاء عليه سبحانه وتعالى وهو متعال عن القبيح.

ج- الاستهزاء منه سبحانه وتعالى ما هو الا تحقير لهم وازدراء بهم، وهذا دليل على أن مذاهبهم جديرة بأن يستهزأ بها وروي عن الرضاعليه السلام انه قال: ان الله عز وجل لايسخر ولايستهزىء ولايمكر ولايخادع، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً[1].

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج٣ ص٣١٩ .

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

س – لماذا قال عرضهم ولم يقل عرضها؟ وما هي هذه الأسماء التي عرضها؟

ج – إن الله سبحانه وتعالى عرض المسميات على الملائكة، وفيهم من يعقل، وفيهم من لا يعقل، فقال: عرضهم تغليباً للعاقل[1]. وهي سنّة من سنن العرب، اي إنما عرض في الحقيقة المسميات دون الاسماء، بدلالة قوله تعالى: ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: في هذه الآية قال: أسماء أنبياء الله، وأسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهما، وأسماء رجال من خيار شيعتهم وعتاة أعدائهم ﴿ثم عرضهم﴾ عرض محمداً وعلياً والأئمة ﴿على الملائكة ﴾، أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلة ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[2].

وقد روي عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى علم آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم– وهم أرواح– على الملائكة–

(١) تفسير مجمع البيان – الشيخ الطوسي ج١ ص١٥٣ .

(٢) مستدرك سفينة البحار ج٥ ص١٩٤، وتفسير الإمام العسكري عليه السلام – المنسوب الى الإمام العسكري ص٢١٧ .

الخبر. وبسند آخر عنه مثله. تفسير علي بن إبراهيم: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ قال: أسماء الجبال والبحار والأودية والنبات والحيوان[1].

وفي تفسير العياشي: عن الصادق عليه السلام فيها قال: أسماء الأودية والنبات والشجر والجبال من الأرض. وقال في رواية أُخرى: الأرضين والجبال والشعاب والأودية. ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علمه. وقال العسكري عليه السلام في رواية أُخرى: علمه أسماء كل شيء[2].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

س - كيف أخرج هؤلاء من النور وهؤلاء من الظلمات، ولم قال: ﴿أولياؤهم الطاغوتُ﴾ والوجه أن يقال «أولياؤهم الطواغيت» بالجمع، لأن المطابقة بين المبتدأ والخبر واجبة، وما المراد بـ﴿الطاغوت﴾.

ج ـ أما اخراج هؤلاء من النور وهؤلاء من الظلمات ولم يدخلوا فإنما هو من قبيل قولك: أخرجني والدي من ميراثه أي منعني منه، فمنعه من الدخول في الميراث اخراج، ومثله قوله تعالى

(١) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق ص١٤ .
(٢) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج١ ص٣٢ .

في قصة يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ولم يكن فيها قط[1].

وقال تعالى: ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾، لأن لفظه مفرد ومعناه جمع، وقد يطلق المفرد ويراد به الجمع، وله نظائر منها قوله تعالى: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذ هم نجوى﴾ حيث وحّد نجوى.

والطاغوت اسم للشيطان، والطاغوت مصدر في الاصل كالطغيان يستعمل كثيراً بمعنى الفاعل، وقيل: هو كل معبود من دون الله والآية تكشف عن وقوع واقعة قضى فيها بعض أهل الكتاب للذين كفروا على الذين آمنوا بأن سبيل المشركين أهدى من سبيل المؤمنين وليس عند المؤمنين الا دين التوحيد المنزل في القرآن المصدق لما عندهم ولا عند المشركين إلا الايمان بالجبت والطاغوت الذي نسبه الله تعالى إليهم ثم لعنهم الله بقوله الآية...[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

س - ما هي الطيور التي أمر الله أن يأخذها، ولم اختص الطير من بين سائر الحيوانات.

ج - الطيورهي الطاووس والديك والحمام والغراب، وإنما اختص

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي ج٢ ص١٦٥ .

(٢) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج٤ ص٣٧٥ .

الطير لخاصيته في الطيران وظهوره في الامتناع ولأنه يكون أبلغ في الاعجاز وأدل على عظمة القدرة[1].

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

س - ما معنى المكر منه سبحانه.

ج - اولاً المكر منه هو المجازاة منه على مكرهم، وهو أنصف الماكرين أي أعدلهم، لأن مكرهم ظلم ومكره عدل، وإنما أضاف المكر إلى نفسه على مزاوجة الكلام كما قال: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾، وثانياً ليس باعتداء وإنما هو جزاء، وهذا احد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة، فالمجانسة كقوله تعالى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾، والمطابقة كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾، بالنصب، على مطابقة السؤال، والمقابلة كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣][2].

---

(١) نور البراهين - السيد نعمة الله الجزائري ج١ ص٣٣٨.

(٢) مجمع البيان - ج٢ ص٣٠٥.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

س - ما معنى هذه الآية الصريحة بأن عيسى(ع) ميت، ومثله قوله تعالى في سورة المائدة آية ١٧ ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيتني كنتَ أنت الرَّقيب عَلَيهِمْ﴾.

ج - حياة عيسى عليه السلام لا تنكر، والآيتان لا تنافيان ذلك أصلاً وبيان عدم المنافاة أن نقول للمتوفي اطلاقات كثيرة ومعان متعددة.

منها النوم كما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، أي ينبهكم من نومكم في النهار، وكما جاء في سورة الزمر قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾، والمعنى الله ينيم الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها والمعنى الله ينيم الانفس حين قبضها إليه، ولا معنى لأن يكون هنا بمعنى الموت وإلا لصار المعنى يميت الانفس حين موتها، وهذا غلط، وعليه فيكون قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾، أي مميتك ورافعك إلي في حال النوم إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي، ومطهرك من سوء جوار الذين كفروا وعاصمك بذلك من قتلهم والآية ١١٧ من المائدة: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ

إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾، وفيها دلالة واضحة على أن التوفي بمعنى النوم لا الموت لأنه فرض فيها أن التوفي من الله لعيسى عليه السلام وهي قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾، فلا يمكن أن يراد به الموت.

ومنها أن يكون التوفي بمعنى الموت حتف الأنف عند انقضاء الأجل لكن لا دلالة فيه على أنه قبل الرفع إلى السماء، لأن العطف بالواو لا بالفاء لأنه قال: ورافعك ولم يقل: فرافعك حتى يكون الصعود إلى السماء بعد الموت، وقد يعطف بالواو ما هو متقدم على ما هو متأخر، من ذلك قوله تعالى في سورة القمر: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ [القمر: ١٦-١٨] مع أن النذر قبل العذاب قطعاً، لحكم العقل ولقوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾ ومنه ما جاء في سورة الزمر قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴿٦﴾﴾ والكلام فيها هو الكلام في آية النساء فيكون المعنى اني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء ولعل النكتة في تقديم الإخبار بإماتته عند بلوغ اجله تنبيهه على أن رفعه إلى السماء حياً ليس على الدوام، بل له أجل مسمى يتوفاه الله.

ومنها أن يكون المراد من التوفي الاستيفاء أي موفيك حقك ورافعك.

ومنها أن يكون المراد من التوفي الإماتة، أي مميت نفسك من الشهوات العائقة عن الصعود إلى عالم الملكوت.

ورُوي: سُئِل الإمام علي عليه السلام عن رجل، فقال: تُوفي البارحة. فلما رأى جَزَع السائل، قال: الله يتوفّى الأنفسَ حين مَوْتها والتي لم تمُتْ في مَنامها وإنما أردتُ بالوَفاة النوم[1].

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

س - من المراد بالابناء والنساء والأنفس في هذه الآية؟ وما هو سبب نزول هذه الآية؟ وما هي قصة حديث الكساء؟

ج - المراد بالأبناء الحسنان عليهما السلام، وبالنساء الزهراء عليها السلام، وبالأنفس الإمام علي عليه السلام، وقد أجمع المفسرون على ذلك وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسوف، فجاء الحسن عليه السلام فأدخله ثم جاء الحسين عليه السلام فأدخله ثم فاطمة عليها السلام ثم علي عليه السلام ثم قال: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، وكان خروجه لمباهلة نصارى نجران.

وقد ذكرهُ الزمخشري قائلاً: وبعد انصراف نصارى نجران من

(١) بحار الانوار ج٤١ ص٥٢ .

عند الرسولﷺ اختص الحسينعليه السلام آخذاً بيد الحسنعليه السلام وفاطمةعليها السلام تمشي خلفه وعليعليه السلام خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال اسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو طالبوا منه سبحانه أن يزيل الجبال لأزالها فلا تباهلوا محمداً، فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني ثم امتنعوا من مباهلته ولم يدع غير فاطمةعليها السلام من النساء، وغير الحسنين من البنين، على نص علماء التفسير والحديث منهم أحمد في مسنده ج١، ص١٥٠٧ طبع حيدر آباد والترمذي في سننه في فضائل عليعليه السلام، وأبو نعيم الاصيهاني في دلائل النبوة ص١٢٤٧، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهة: ص١٢٩، وفي الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٨٧ و٩٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٥، وكامل ابن الاثير: ج٢ ص ١١٢٧، وكنز العمال ج٦ ص٤٠٧، وفي ترجمة عليعليه السلام من كتاب أسد الغابة والرازي في تفسير هذه الآية، والدر المنثور للسيوطي، والبيضاوي، واسباب النزول للواحدي.

ومن قصة حديث الكساء فيما روت الرواة، أن وفد نجران من النصارى قدموا على النبي ﷺ، فكان مما جرى بينه وبينهم أن قالوا له: يا محمد، لمَ تعيب صاحبنا، وتسميه عبداً؟ فقال: أجل، عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم. قالوا: فأرنا مثله يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير، وبايعنا على أنه ابن الله، ونحن نبايعك على أنك رسول الله، فقال رسول اللهﷺ: معاذ الله أن يكون له ولد أو شريك! فما زالوا يحاجونه ويلاحونه حتى أنزل الله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ فعرض عليهم المباهلة، وهي الملاعنة، فتواعدوا لها، وجمع إليهاﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسينعليهما السلام ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ويروى أن جبريلعليه السلام انضم إليهم واندس فيهم تقرباً إلى الله تعالى بمداخلتهم. فعدل النصارى عن هذه المباهلة، وقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون نبياً أو ملكاً، فإن كان نبياً فإن الله لا يخالفه فينا، وإن كان ملكاً فليس إلا استئصالنا، والرأي أن نصالحه، ونعرض عن مباهلته، فجنحوا إلى مسالمته على ألا يغزوهم النبيﷺ، ولا يردهم عن دينهم، وعلى أن يؤدوا إليه في كل عام ألف حلة نجرانية، وثلاثين درعاً عادية. وصالحهم النبيﷺ، وقال: لو باهلوني لما حال الحول على واحد منهم ولأهلك الله الكاذبين. فمنذ ذلك الوقت سمي الخمسة أصحاب الكساء، وسادسهم جبريل عليه السلام وفيهم قيل من الرجز:

أفضل من تحت الفلك خمسة رهط وملك[1]

ونقلاً عن كتاب عوالم العلوم للشيخ عبد الله بن نور الله البحراني بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري: عَنْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِعليها السلام بِنْتِ رَسُولِ اللّٰهِﷺ قَالَ: سَمِعْتُ فَاطِمَةَ أَنَّها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ اللهﷺ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكِ يا فاطِمَةُ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ. قالَ: إِنِّي أَجِدُ فِي بَدَنِي ضَعْفاً. فَقُلْتُ

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - ابو منصور الثعالبي ص١٢٩٧ .

لَهُ: أُعِيذُكَ بِالله يا أَبَتَاهُ مِنَ الضَّعْفِ.

فَقَالَ: يا فَاطِمَةُ إِيْتِينِي بِالكِساءِ الْيَمَانِيِّ فَغَطِّينِي بِهِ، فَأَتَيْتُهُ بِالْكِساءِ الْيَمَانِيِّ فَغَطَّيْتُهُ بِهِ وَصِرْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِذَا وَجْهُهُ يَتَلأْلأُ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي لَيْلَةِ تَمامِهِ وَكَمالِهِ فَما كَانَتْ إِلاَّ سَاعَةٌ وَإِذَا بِوَلَدِي الْحَسَنِ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكِ يا أُمَّاهُ فَقُلْتُ وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤادِي فَقالَ: يا أُمَّاهُ إِنِّي أَشُمُّ عِنْدَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللّهِ فَقُلْتُ: نَعَمْ إِنَّ جَدَّكَ تَحْتَ الْكِساءِ فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِساءِ وَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا جَدّاهُ يا رَسُولَ الله أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ تَحْتَ الْكِساءِ؟ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا وَلَدِي وَيا صاحِبَ حَوْضِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِساءِ. فَما كانَتْ إِلاَّ ساعَةٌ وَإِذَا بِوَلَدِي الْحُسَيْنِ عليه السلام قَدْ أَقْبَلَ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيْكِ يا أُمَّاهُ فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا وَلَدِي وَيا قُرَّةَ عَيْنِي وَثَمَرَةَ فُؤادِي. فَقَالَ لِي: يا أُمَّاهُ إِنِّي أَشُمُّ عِنْدَكِ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللّه فَقُلْتُ: نَعَمْ إِنَّ جَدَّكَ وَأَخاكَ تَحْتَ الْكِساءِ فَدَنَا الْحُسَيْنُ نَحْوَ الْكِساءِ وَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا جَدَّاهُ السَّلامُ عَلَيْكَ يا مَنِ اخْتَارَهُ الله أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا تَحْتَ الْكِساءِ؟ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا وَلَدِي وَشافِعَ أُمَّتِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فَدَخَلَ مَعَهُمَا تَحْتَ الْكِساءِ فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ عليه السلام وَقالَ: السَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ رَسُولِ الله فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا أَبَا الْحَسَنِ وَيا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقالَ: يا فَاطِمَةُ إِنِّي أَشُمُّ عِنْدَكِ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ أَخِي وَابْنِ عَمِّي رَسُولِ اللّهِ فَقُلْتُ: نَعَمْ ها هُوَ مَعَ وَلَدَيْكَ تَحْتَ الْكِساءِ فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ نَحْوَ الْكِساءِ وَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِساءِ ؟ قَالَ لَهُ: وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا أَخِي وَيا وَصِيِّي وَخَلِيفَتِي

وَصاحِبَ لِوائِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فَدَخَلَ عَلِيٌّ تَحْتَ الْكِساءِ.

ثُمَّ أَتَيْتُ نَحْوَ الْكِساءِ وَقُلْتُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبَتاهُ يا رَسُولَ الله أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِساءِ ؟ قالَ: وَعَلَيْكِ السَّلامُ يا بِنْتِي وَيا بِضْعَتِي قَدْ أَذِنْتُ لَكِ فَدَخَلْتُ تَحْتَ الْكِساءِ فَلَمَّا اكْتَمَلْنا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِساءِ أَخَذَ أَبِي رَسُولُ الله بِطَرَفَي الْكِساءِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى السَّماءِ وَقالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخاصَّتِي وَحامَّتِي لَحْمُهُمْ لَحْمِي وَدَمُهُمْ دَمِي يُؤْلِمُنِي مَا يُؤْلِمُهُمْ وَيُحْزِنُنِي ما يُحْزِنُهُمْ أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حارَبَهُمْ وَسِلْمٌ لِمَنْ سالَمَهُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ فَاجْعَلْ صَلَواتِكَ وَبَرَكاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَغُفْرانَكَ وَرِضْوانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ وَأَذْهِبْ عَنهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً.

فَقالَ الله عَزَّ وَجَلَّ يا مَلائِكَتِي وَيا سُكَّانَ سَماواتِي إِنِّي ما خَلَقْتُ سَماءً مَبْنِيَّةً وَلا أَرْضاً مَدْحِيَّةً وَلا قَمَراً مُنِيراً وَلا شَمْساً مُضِيئَةً وَلا فَلَكاً يَدُورُ وَلا بَحْراً يَجْرِي وَلا فُلْكاً يَسْرِي إِلاَّ فِي مَحَبَّةِ هؤلاءِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِساءِ. فَقالَ الأَمِينُ جَبْرائِيلَ: يا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِساءِ ؟ فَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسالَةِ هُمْ فاطِمَةُ وَأَبُوها وَبَعْلُها وَبَنُوها فَقالَ جَبْرائِيلَ: يا رَبِّ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَهْبِطَ إِلَى الأَرْضِ لأَكُونَ مَعَهُمْ سادِساً ؟ فَقالَ اللَّهُ: نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ. فَهَبَطَ الأَمِينُ جَبْرائِيلُ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ، الْعَلِيُّ الأَعْلَى يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَخُصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ والإِكْرام وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي إِنِّي ما خَلَقْتُ سَماءً مَبْنِيَّةً وَلا أَرْضاً مَدْحِيَّةً وَلا قَمَراً مُنِيراً وَلا شَمْساً مُضِيئَةً وَلا فَلَكاً يَدُورُ وَلا بَحْراً يَجْرِي وَلا فُلْكاً يَسْرِي إِلاَّ لأَجْلِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ. وَقَدْ أَذِنَ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكُمْ فَهَلْ تَأْذَنُ لِي يا

رَسُولَ الله ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا أَمِينَ وَحْيِ اللّهِ إِنَّهُ نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فَدَخَلَ جَبْرائِيلُ مَعَنا تَحْتَ الْكِساءِ فَقالَ لأَبِي إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْحى إِلَيْكُمْ يَقولُ: إِنَّما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. فَقَالَ عَلِيٌّ لأَبِي: يا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي ما لِجُلُوسِنا هَذا تَحْتَ الْكِساءِ مِنَ الْفَضْلِ عِنْدَ الله ؟ فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً وَاصْطَفانِي بِالرِّسالَةِ نَجِيّاً ما ذُكِرَ خَبَرُنا هَذا فِي مَحْفِلٍ مِنْ مَحافِلِ أَهْلِ الأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنا وَمُحِبِّينا إِلاَّ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلائِكَةُ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَتَفَرَّقُوا. فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِذنْ وَالله فُزْنا وَفازَ شِيعَتُنا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ أَبِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا عَلِيُّ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً وَاصْطَفانِي بِالرِّسالَةِ نَجِيّاً مَا ذُكِرَ خَبَرُنا هَذا فِي مَحْفِلٍ مِنْ مَحافِلِ أَهْلِ الأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنا وَمُحِبِّينا وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلاَّ وَفَرَّجَ الله هَمَّهُ وَلا مَغْمُومٌ إِلاَّ وَكَشَفَ الله غَمَّهُ وَلا طالِبُ حاجَةٍ إِلاَّ وَقَضَى الله حاجَتَهُ. فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِذَنْ وَالله فُزْنا وَسُعِدْنا وَكَذلِكَ شِيعَتُنا فَازُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ(1).

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

---

(1) كلمات الإمام الحسين عليه السلام – الشيخ الشريفي ص53، والشيعة في أحاديث الفريقين – السيد مرتضى الأبطحي ص123 .

س - كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضاً لله تعالى في املائه لهم.

ج - ليس ازديادهم في الاثم مقصوداً لله سبحانه، فان اللام هنا للعاقبة كما في قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾، أي لتكون عاقبة ذلك ازدياد الاثم والعداوة. وهو مثل قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ اي لئلا تقولوا. ولا يجوز أن يكون لام الغرض، لان الله تعالى لا يفعل بهم الزينة ويعطيهم ويريد منهم ان يضلوا بل إنما يفعل لينتفعوا ويطيعوه ويشكروه. وقال قوم: لو كان أراد منهم الضلال لكانوا إذا ضلوا مطيعين، لان الطاعة هي موافقة الارادة وذلك باطل بالاتفاق.

هذا بالإضافة إلى ان ظاهر هذه الآية لا يدل على أنه تعالى أراد الكفر منهم، وإنما يدل على أنه أراد العقوبة لهم، لان ظاهر الخطاب ينبىء عن الجزاء لا عن نفس الفعل في العرف، ويؤيد ذلك ما يتصل به من قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1]

(١) حقائق التأويل - الشريف الرضي ص٢٧٦ .

قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾

س - لماذا جمع اليتيم على يتامى، وهو فعيل كمريض وأسير، وجمعها مرضى وأسرى؟ وما معنى اليتيم؟

ج - فأما يَتامى فعلى باب أَسارى، أدخلوه لأَن فَعالى نظيرُه فَعْلى، وأَما أيتام فإِنه كُسّرعلى أفعالٍ كما كَسَّروا فاعلاً عليه حين قالوا شاهد وأَشهاد، ونظيرُه شريفٌ وأَشراف ونَصِيرٌ وأَنْصارٌ، وأَما يَتَمَةٌ فعلى يَتَمَ فهو ياتِمٌ، واليتيم من الناس من مات أبوه ومن البهائم من ماتت أمه.

وقيل: اليتيم من مات أبوه قبل بلوغه، فأما من مات أبوه بعد بلوغه فلا يكون يتيماً كما رواه الإمام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لايُتْمَ بعد الحلم[1].

قال تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾

س - ما معنى قوله تعالى: ﴿كُلٌّ من عند الله﴾ وهل ان الخير والشر كلاهما من الله، وهذا لا يجوز عليه سبحانه، بل

(١) المبسوط - الشيخ الطبرسي ج٢ ص٢٨١ .

ج ـ كان الناس على عهد محمدﷺ إذا وقعوا في السراء والضراء والبؤس والرخاء والنعمة أو المصيبة والخصب أو الجدب نسبوا الخير إليه سبحانه، وما وقعوا به من ضراء أو بؤس نسبوه إلى محمدﷺ ولدى الحقيقة أن جميع ما يطرأ عليهم من موت وحياة، وخصب وجدب، إلى غير ذلك، من قضاء الله وقدره، أما الخير فنعمة يمن بها الله على عباده وأما ما عداه فإنما يحصل بنتيجة منعه فضله عنهم، ولطفه عن أن يحوطهم به، لأنهم لذلك مستحقون، وهذا معنى قوله:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾. يعني الحسنات والسيئات ثم قال في آخر الآية:

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾.

وقد اشتبه هذا على عدد من العلماء، فقالوا: يقول الله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله الحسنة والسيئة، ثم قال في آخر الآية وما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك، فكيف هذا وما معنى القولين؟ فالجواب في ذلك ان معنى القولين جميعاً عن الصادقينعليهم السلام انهم قالوا الحسنات في كتاب الله على

وجهين والسيئات على وجهين فمن الحسنات التي ذكرها الله، الصحة والسلامة والامن والسعة والرزق وقد سماها الله حسنات وان تصبهم سيئة يعني بالسيئة ههنا المرض والخوف والجوع والشدة [1].

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾

س - كيف صح اسناد الاضلال إليه سبحانه، وهل هو إلا إيقاع العبد في المعصية ثم مؤاخذته عليها وهذا ظلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ج - معنى الآية أن من نسبه الله إلى الضلال فلن ينفعه غيره أن يحكم بهدايته كما يقال: ويل لمن كفره نمرود، يعني اعتبره كافراً، وكما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره، وهذا يعني ان الله لم يجعله ضالاً لأنه سبحانه لا يرضى أن يعصى، ولا يرضى لعباده الكفر. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾، فقال بعضهم: ذلك للخاص من الناس، ومعناه: إن تكفروا أيها المشركون بالله، فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر. فعن ابن

(١) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي ج١ ص١٤٤ .

عباس، قوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، يعني الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، فيقولوا: لا إله إلا الله، ثم قال: ولا يرضى لعباده الكفر وهم عباده المخلصون الذين قال فيهم: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحببها إليهم، وعن السدي ولا يرضى لعباده الكفر قال: لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا.

وقال آخرون: بل ذلك عام لجميع الناس، ومعناه: أيها الناس إن تكفروا، فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لكم أن تكفروا به.

والصواب من القول في ذلك ما قال الله عز وجل: إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإني غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، كما يقال: لست أحب الظلم، وإن أحببت أن يظلم فلان فلاناً فيعاقب وقوله: وإن تشكروا يرضه لكم يقول: وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يذكرهُ، وإنما ذكر الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وعن السدي وإن تشكروا يرضه لكم قال: إن تطيعوا يرضه لكم. وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يقول: لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها، ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها، يعلم عز وجل عباده أن على

كل نفس ما جنت، وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها. اما ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيئ، وإيمان وكفر أيها الناس، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم، فينبئكم يقول: فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشر، فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بما يستحقه يقول عز وجل لعباده: فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم تهلكوا، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم. وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار. وإنما يعني عز وجل بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه محصٍ على عباده أعمالهم، ليجازيهم بها كي يتقوه في سر أمورهم وعلانيتها (١).

قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

س - على أي شيء معطوف قوله: ﴿والمقيمين﴾، وهل هو

(١) جامع البيان - ابن جرير الطبري ج٢٣ ص٢٣٦ .

ج . المقيمين الصلاة نصب على المدح، لبيان فضيلة الصلاة. وقيل: هو عطف على ما أنزل اليك أي يؤمنون بالكتب، وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء.

وهذا باب واسع فتحه سيبويه والبصريون على مصراعيه، وله أمثلة كثيرة وشواهد جمة. ومن الشواهد له أنك إذا أردت أن تبين زيداً الكريم من زيد غير الكريم، تجره فتقول: مررت بزيدٍ الكريم، وإذا أردت المدح نصبت فتقول: مررت بزيدَ الكريم بالفتح، كأنك قلت أذكر الكريم وأخصه بالذكر، وهنا كأنه قال وأذكر المقيمين الصلاة عناية منه بهم، وقيل: أنه معطوف على الكاف في إليك، أو الكاف في قبلك. وهذه الأقوال الأخيرة لاتجوز عند البصريين، لأنه لا يعطف الظاهر على الضمير المجرور، من غير إعادة الجار[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾

(١) تفسير مجمع البيان ج٣ ص٢٣٩ .

س - ما المراد من قوله: ﴿وروح منه﴾.
وما هو تفسير هذه الآية؟ وسبب نزولها.

ج - أي روح مخلوق منه، وإضافتها إليه للتشريف كناقة الله. وعن الباقر عليه السلام في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى، وكأن المعنى خلقها فيهما من غير جري العادة وخلقها في غيرهما بجري العادة، ففيها زيادة اختصاص.

ومثله قوله تعالى في آدم عليه السلام: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وفي الحديث عن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ قال: إن الروح متحركة كالريح، وإنما سمي روحاً لأنه اشتق اسمه من الريح، وإنما أخرجه على لفظ الريح لان الروح مجانس للريح، وإنما أضافه إلى نفسه لانه اصطفاه على سائر الارواح كما قال لبيت من البيوت بيتي وقال لرسول من الرسل خليلي وأشباه ذلك كثير، وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث.

وقيل: قوله الروح متحركة كالريح إنما يصح في الجسم البخاري الذي يتكون من لطافة الأخلاط وبخاريتها لا في الروح المجرد [1].

وقد سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله عن الروح، فأجابهم بهذا ولم يكشف حقيقته، كما كشف حقيقة أمر اصحاب الكهف، وحقيقة أمر ذي القرنين، لان الله سبحانه وتعالى انفرد بعلمه وغيبه عن خلقه.

(١) مجمع البحرين ج٢ ص٢٣٧ .

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

س – لماذا جمع الظلمات وافرد النور. وما هي الظلمات الثلاث المذكورة في قصة يونس عليه السلام؟

ج ـ لأن الظلمات كثيرة إذ ما من جنس من اجناس الاجرام إلا وله ظل، وظله هو الظلمة، بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار. وقيل: جمع الظلمات وإفراد النور إشارة إلى أن طريق الحق لا اختلاف فيه ولا تفرق وإن تعددت بحسبه المقامات والمواقف بخلاف طريق الباطل(١).

وللعلماء في جمع الظلمات اقوال، فقالت فرقة منهم ابن عباس وقتادة: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة الحوت. وذكر ابن أبي الدنيا حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون قال: حدثنا عبد الله بن مسعود في بيت المال قال: لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام أهوى به إلى قرار الارض، فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمات ثلاث ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾. وقالت فرقة منهم سالم بن أبي الجعد: ظلمة البحر،

(١) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي ج٥ ص٢٤٦ .

وظلمة حوت التقم الحوت الاول. ويصح أن يعبر بالظلمات عن جوف الحوت الاول فقط، كما قال: ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ وفي كل جهاتهِ ظلمة فجمعها سائغ . وذكر الماوردي: أنه يحتمل أن يعبر بالظلمات عن ظلمة الخطيئة، وظلمة الشدة، وظلمة الوحدة. وروى: أن الله تعالى أوحى إلى الحوت: لا تؤذ منه شعرة فإني جعلت بطنك سجنه[1].

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

س - لماذا قال بجناحيه وقد علم أن الطير لا يطير إلا بالجناح ولماذا قال في الارض بعد قوله: ﴿وما من دابة﴾، ومعلوم أن الدابة لا تدب إلاّ على الارض.

ج - إنما جاء للتوكيد ورفع اللبس، وقال بجناحيه لأن السمك يطير في الماء ولا أجنحة له، وإنما خرج السمك عن الطائر لأنه من دواب البحر، وأراد سبحانه وتعالى ما في الأرض وما في الجو والغرض من ذلك التدليل على عظيم قدرته، ولطف عمله، وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وعليها.

(١) تفسير القرطبي ج١١ ص٣٣، وتفسير مجمع البيان ج٥ ص٢٣١ .

وقيل: انما قال ذلك ليدل على الفرق بين طيران الطيور بأجنحتها وبين الطيران بالإسراع تقول: طرت في جناحين، إذا أسرعت قال الشاعر:

فلو أنها تجري على الأرض أدركت ... ولكنها تهفو بتمثال طائر[1]

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾

س - لماذا قال: هذا ربي، ولم يقل: هذه ربي، وكيف صح هذا القول منه.

ج - إن قوله: هذا ربي فإنما هو صيانة للرب عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفة الله علام، وما قالوا علامة، احترازاً من علامة التأنيث، ولم يقل إبراهيم عليه السلام ذلك على طريق الشك، بل كان عالماً موقناً ان ربه سبحانه لا يجوز أن يكون بصفة الكواكب، إنما قال ذلك على سبيل انكار على قومه، والتنبيه لهم، على أن الإله المعبود لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث، وقيل: لم يقل هذه ربي لمراعاة الخبر حيث انه مذكر[2].

(١) التبيان ج٤ ص١٢٨ .

(٢) شرح اللمعة - الشهيد الثاني ج١٠ ص٢٨٩ .

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

س - لماذا قيل هنا ما منعك أن لا تسجد وفي سورة: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)﴾ قال: . ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي من دون لا، وما معنى بيدي . في الآية الثانية وكيف قيل إذ أمرتك، ولم يؤمر بل أمرت الملائكة بالسجود.

ج - أما لا فإنما هي زائدة للتأكيد، وأما قوله بيدي فانما هو جار مجرى لما خلقت أنا، وذلك مشهور في لغة العرب يقول أحدهم: هذا ما كسبت يداك، وما جنته يداك، ومنه قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، فإنهم إن ارادوا نفي الفعل من الفاعل أو إثباته له استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون: فلان لا تمشي قدمه، ولا ينطلق لسانه، ولا تكتب يده، والحال أنه لا يكون للفعل رجوع إلى الجوارح في الحقيقة بل المقصود منه النفي عن الفاعل. وقيل: معناه ما حماك في ألا تسجد اي من العقوبة اي ما جعلك في منعه من عقوبة ترك السجود وهذا لا يصح أما الأول فلم يثبت في اللغة وأما الثاني فكأن تركيبه ما يمنعك سؤالاً عما يمنعه لا بلفظ الماضي لانه لا تخويف الله بماض ويجاب بأن المخالفة تقتضي الأمنة، قال كانه قيل: ما امنك حتى خالفت بياناً لاغتراره وعدم رشده وانه انما خالف وحاله حال من امتنع بقوته

من عذاب ربه فكني عنه بما منعك تهكماً لا انه امتنع حقيقة وانما جسر جسارة من هو في منعه ورد ايضاً بانه أجاب أنا خير وهو لا يصلح جواباً الا لترك السجود وأجيب بانه لم يجب ولكن عدل بذلك جواب ما لا يمكن جوابه[1].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

س - كيف جاز لموسى(ع) أن يسأل ربه ذلك ولم كان جوابه سبحانه وتعالىٰ بقوله: (لن تراني) دون ـ (لن تنظر إليّ) لأنه هو المطلوب.

ج ـ اختلف العلماء في وجه مسألته عليه السلام في الرؤية، مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس، وإنه لم يسأل الرؤية لنفسه، وانما سألها لقومه، حين قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، ولذلك قال عليه السلام لما أخذتهم الرجفة: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، فأضاف ذلك إلى السفهاء.

وقد اردف العلماء وقالوا لو جاز أن يسأل الرؤية لقومه مع

(١) البرهان - الزركشي ج٢ ص٢٨٤ .

علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى، لجاز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسماً، وما أشبه ذلك، متى شكوا فيه؟

والجواب: إنما صح السؤال في الرؤية، لأن الشك في جواز الرؤية التي تقتضي كونه جسماً، يمكن معه معرفة السمع، وانه سبحانه حكيم صادق في إخباره، فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه، ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع من حيث إن الجسم لا يجوز أن يكون غنياً، ولا عالماً بجميع المعلومات، لا بد في العلم بصحة السمع من ذلك، فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم.

وقال بعض العلماء:

اولاً: أنه كان يجوز أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالته أيضاً، وإن كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم أن في ذلك صلاحاً للمكلفين في دينهم، غير أنه شرط أن يبين النبي في مسألته ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه، وأن غرضه في السؤال ورود الجواب، ليكون لطفاً.

وثانيها: إنه عليه السلام لم يسأل الرؤية بالبصر، ولكن سأله أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة التي تضطره إلى المعرفة، فتزول عنه الدواعي والشكوك، ويستغني عن الاستدلال، فتخفف المحنة عليه بذلك، كما سأل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، طلباً لتخفيف المحنة، وقد كان عرف ذلك بالاستدلال. والسؤال وإن وقع بلفظ الرؤية، فإن الرؤية تفيد العلم، كما يفيد العلم الإدراك بالبصر، فبين الله سبحانه وتعالى له أن ذلك لا يكون في الدنيا.

وثالثها: أنه سأله الرؤية بالبصر على غير وجه التشبيه عن الحسن، والربيع، والسدي، وذلك لأن معرفة التوحيد تصح مع الجهل بمسألة الرؤية، ومعرفة السمع تصح أيضاً معه، وهذا ضعيف، لأن الأمر وإن كان على ما ذكروه، فإن الأنبياء لا يجوز أن يخفى عليهم مثل هذا، مع جلالة رتبتهم، وعلو درجتهم. ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، هذا جواب من الله تعالى، ومعناه: لا تراني أبداً، لأن ﴿لن﴾ ينفي على وجه التأبيد، كما قال: ﴿ ولن يتمنوه أبداً ﴾، وقال: ﴿لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴾، وقوله تعالىٰ ﴿ ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴾، فعلق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا أنه لم يستقر، وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء، لأنهم يعلقونه مما يعلم أنه لا يكون، ومتى قيل: أنه لو كان الغرض بذلك التبعيد، لعلقه سبحانه وتعالىٰ بأمر يستحيل، كما علق دخول الجنة بأمر مستحيل، ومن ولوج الجمل في سم الخياط؟ فجوابه: أنه سبحانه وتعالىٰ علق جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكاً، وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾، أي: ظهر أمر ربه لأهل الجبل، فحذف والمعنى أنه سبحانه أظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل، على أن رؤيته غير جائزة.

وقيل: معناه ظهر ربه بآياته التي أحدثها في الجبل لأهل الجبل، كما يقال: الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته، فكل آية يجددها الله سبحانه، فكأنه يتجلى للعباد بها، فلما أظهر الآية العجيبة في الجبل، صار كأنه ظهر لأهله.

وقيل: إن تجلى بمعنى جلى، كقولهم حدث وتحدث،

وتقديره: جلى ربه أمره للجبل، أي: أبرز في ملكوته للجبل ما تدكك به. وقيل: أن موسى لم يسأل الرؤية لنفسه، وإنما سألها لقومه، حين قالوا له ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، ولذا قال عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، فاضاف ذلك إلى السفهاء وقد سأل موسى عليه السلام من ربه ذلك ليبين لهم سفاهتهم، وانه سبحانه وتعالى لا يدرك بالحواس، ولما أخذتهم الرجفة أغمي على موسى عليه السلام ولم يمت بدلاله قوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾، وأما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، وأما قوله في آخر الآية: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، فلا يدل على أن ما صدر منه ذنب بل إنما تاب من التقدم في المسألة قبل الإذن، واعتبر موسى ذلك ذنباً منه، نظراً لخطر الله عنده ومزيد إخلاصه له، وأما الجواب بقوله: ﴿لَن تَرَانِي﴾، فلأن معنى أرني نفسك اجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فانظر إليك وأراك ولدى الحقيقة لا يكون ذلك جواباً لموسى بل جواباً لقومه الجاهلين وإنما خوطب موسى عليه السلام بالجواب لأنه هو المتولي لسؤال الله ذلك نزولاً على حكمهم[1].

---

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج٤ ص٣٥٢ .

قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

س - ما معنى السبط، وكيف صح مجيء مميز ما فوق العشرة جمعاً، والقاعدة لا تجوز ذلك، ولماذا أنث العدد.

ج - الاسباط أولاد الولد جمع سبط مثل حمل وأحمال، والاسباط في بني يعقوب كالقبائل في ولد اسماعيل عليه السلام وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ولداً ليعقوب عليه السلام وإنما سموا هؤلاء بالاسباط وهؤلاء بالقبائل، ليفصل بين ولد اسماعيل وولد إسحاق. و﴿اثنتي عشرة أسباطاً﴾ يعني اثنتي عشرة فرقة فحذف المميّز ولذلك أنّث. وأسباطاً بدل من اثنتي عشرة تقديرة: وفرقناهم أسباطاً، وجعلناهم أسباطاً[1] وأراد بالأسباط القبائل ومثال على تأنيث العدد قول الشاعر:

وإن قريشاً كلها عشر أبطن وأنت بريء من قبائلها العشر

أراد بالبطن القبيلة.

وقد روى المفضل عن عاصم أنه قرأ قطعناهم مخففاً وسماهم أمماً لأن كل سبط كان جماعة كثيرة العدد وكانوا مختلفي الآراء يؤم

(١) مجمع البيان ج٩ ص٣٧٦ .

بعضهم غير ما يؤمه الآخر[1].

وقد بعث الله سبحانه وتعالى منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمان وموسى وعيسى. وعن ابن الاعرابي الاسباط خاصة الاولاد. وفي الحديث الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ أي طائفتان وقطعتان.

وفي الخبر الحسين عليه السلام سبط من الاسباط أي أمة من الامم في الخير. ويحتمل أن يراد بالسبط القبيلة، أي يتشعب منهما نسله[2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

س- كيف يحول الله بين المرء وقلبه؟

ج - قيل ان معناه: أنه سبحانه أقرب إليه من قلبه. وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، فإن الحائل بين الشيء وغيره، أقرب إلى ذلك الشيء من ذلك الغير، وعن الحسن وقتادة قالا: وفيه تحذير شديد.

وقيل معناه: أنه سبحانه يملك تقليب القلوب من حال إلى

(١) فتح القدير - الشوكاني ج٢ ص٢٥٦ .
(٢) مجمع البحرين - الشيخ الطريحي ج ٢ ص ٣٢٦ .

حال، كما جاء في الدعاء: يا مقلب القلوب والأبصار، فكأنهم خافوا من القتال، فأعلمهم سبحانه أنه يبدل خوفهم أمناً، بأن يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من أسباب الخوف.

وروى يونس بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أنه يحول بين المرء وقلبه معناه: لا يستيقن القلب أن الحق باطل أبداً، ولا يستيقن القلب أن الباطل حق أبداً[1].

وروى هشام بن سالم عنه عليه السلام قال: معناه يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق، أوردهما العياشي في تفسيره. وقال محمد بن إسحاق: معناه لا يستطيع القلب أن يكتم الله شيئاً[2].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

س - ما هو المكاء وما هو التصدية.
وما هو سبب نزول الآية وما تفسيرها؟

ج - المكاء بالضم وأصله واو يقال مكا يمكو مكواً ومكاء: إذا صفر بفيه أو شبك بأصابعه ونفخ فيها، ومنه المكاء وهو طائر ابيض اكبر من الحمرة يكون بالحجاز والتصدية: ضرب اليد بالأخرى حتى يخرج منه صوت كالصدى، وهو صوت لطائر

(١) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج٢ ص٥٣ .
(٢) تفسير مجمع البيان ج٤ ص٤٥٢ .

بصر بالليل ولعل المراد بالتصدية أيضاً التصرير بمعنى ما يخرج منه صوت كصرير الصدى[1].

ولبيان ذلك حذرهم الله سبحانه وتعالىٰ من ذلك العمل، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا قام الى الصلاة بمكة كان يصلي قائماً بين الحجر وبين الركن اليماني فيجيء رجلان من بني سهم يقوم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فيصيح أحدهما كما تصيح المكاء والآخر يصفق بيديه كتصدية العصافير ليفسد عليه صلاته. فان قيل: وهل تعرف العرب ذلك؟ قيل: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت وهو يقول:

نقوم الى الصلاة إذا دعينا   وهمكم التصدي والمكاء

وقال آخر من الشعراء في التصدية:

حين تنبهنا سحيراً   قبل تصدية العصافر[2]

وقيل ان معنى الآية الاخبار من الله تعالى أنه لم تكن صلاة هؤلاء الكفار الصادين عن المسجد الحرام إلا مكاء لئلا يظن ظان ان مع كونهم مصلين ومستغفرين لا يعذبهم الله، كما قال في الآية الاولى، فبين ان صلاتهم كانت مكاء وتصدية.

وأصل المكاء جمع الريح للصفير. ويقال مكا يمكو مكاء إذا صفر بفيه ومنه يمكو است الدابة إذا انتفخت بالريح. والاست: الكوة، والمكو ان يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح.

---

(١) بحار الانوار - ج٧٦ ص٢٦٤ .

(٢) الدر المنثور - جلال الدين السيوطي ج٣ ص١٨٣ .

ومنه قول عنترة:

وحليل غانية تركت مجدلاً
تمكو فريضته كشدقِ الاعلمِ

أي يصفر بالريح لما طعنه والتصدية التصفيق يقال صدى يصدي تصدية إذا صفق بيديه. ومنه الصدى صوت الجبل، ونحوه. ومنه تصدى للملك إذا تعرض له ليكلمه.

وقال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وعطية، ومجاهد، وقتادة والسدي: المكاء الصفير، والتصدية التصفيق، قال الراجز:

ضنت بخد وجلت عن خد
فأنا من غرو الهوى أصدي

أي اصفق بيدي تعجباً. والغرو: العجب. وقال أبو علي الجبائي: كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل، وكان يصفر له. وقال سعيد بن جبير وابن زيد: التصدية صدهم عن البيت الحرام. وقيل: إنهم كانوا يخلطون ويشوشون بذلك على النبيﷺ. وإنما سمي مكاؤهم بأنه صلاة لامرين:

احدهما - انهم كانوا يقيمونه (فعلهم الصفير والتصفيق) مقام الصلاة والدعاء والتسبيح.

والآخر - انهم كانوا يعملون كعمل الصلاة مما فيه هذا. والأصل في التصدية تصددة، لأنه من الصد، فأبدلت الدال الأخيرة ياء لثقل التضعيف، وقيل: هي أصل وهو من الصدى الذي هو الصوت [1].

(١) التبيان ج٥ ص١١٦ .

س – لماذا كانت سورة (براءة) بلا بسملة .

ج ـ روي عن ابن عباس انه قال: سألت علياًعليه السلام عن ذلك فقال: لأن البسملة أمان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان.
قال القشيري: والصحيح أن البسملة لم تكن فيها لأن جبريلعليه السلام ما نزل بها فيها[1].

وقد روي عن أبي جعفر محمد بن عليعليه السلام قال: لما نزلت براءة على رسول اللهصلى الله عليه وآله وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج قيل له: يا رسول الله! لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا علي بن أبي طالبعليه السلام فقال له: أخرج بهذه السورة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول اللهصلى الله عليه وآله عهد فهو له إلى مدته، فخرج علي بن أبي طالبعليه السلام على ناقة رسول اللهصلى الله عليه وآله العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور. ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي

(١) البرهان – الزركشي ج١ ص٢٦٣ .

طالب عليه السلام فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الحديث[1].

وروي أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام وقال: يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل علياً عليه السلام، فرجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أشيء نزل من السماء؟ قال: نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي. الحديث. ذكره نظام الدين النيسابوري في تفسيره المطبوع في هامش تفسير الطبري ج ١٠/ ٣٦.

وروي عن السدي قال: لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعلي عليه السلام فأخذها منه فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ! بأبي أنت و أمي أنزل في شأني شيء؟ قال: لا. ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر على الحاج وعلي يؤذن ببراءة. الحديث [2].

وفيه: لما كان سنة تسع وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحج ثم قال: أنه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً

---

(١) السيرة النبوية - ابن كثير ج٤ ص٦٩، وإرواء الغليل - محمد ناصر الألباني ج٤ ص٣٠٣، الغدير - الشيخ الاميني ج٦ ص٣٤٩ .

(٢) تفسير الطبري ج١٠ ص٣٦ .

على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياًعليه السلام على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة: أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ قال: لا. ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الحاج وعليعليه السلام ليؤذن ببراءة. الحديث[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

س- ما هو موقع «من» في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ وهل هي هنا بمعنىٰ البعض؟

ج - ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾، فمِنْ، لَيستْ هاهنا تبعيضاً؛ لأنّه لا يكون بعض القرآن شفاء وبعضه غيرَ شفاء، فمِنْ تحتمل تأويلين: أحدهما التجنيس، أي نُنَزِّل الشفاء من

---

(١) وتجده مرسلاً ارسال المسلم بلفظ موجز في طبقات ابن سعد ص٦٨٥ .

جهة القرآن، والتأويل الآخر أن تكون (من) مزيدة للتوكيد، كقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، وهو يريد يغضُّوا أبصارهم، وكقول ذي الرُّمَّة:

إذا ما امْـرُؤٌ حـاوَلْـنَ أَنْ يَـقْـتَـتِـلْـنَـه
بـلا إحْـنَـةٍ بـيـن الـنُّـفـوس ولا ذَحْـلِ

تـبـسَّـمْـن عـن نَـوْر الأقـاحيّ في الـثـرى
وفَـتَّـرْن مـن أبـصـارِ مَـضـروجَـةٍ نـجْـلِ

أراد: وفتّرن أبصارَ مَضروجَة.

وقد قال ابن الجوزي:

مَنْ هاهنا لبيان الجنس فجميع القرآن شفاء[1]

اما وجه الشفاء فيه:

أولاً: ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك.

(١) زاد المسير - ابن الجوزي ج٥ ص٥٦ .

ثانياً: انه من جهة نظمه وتأليفه يدل على انه معجز دال على صدق من ظهر على يده.

ثالثاً: انه يتبرك به فيدفع به كثيراً من المكاره والمضار.

رابعاً: ما في العبادة بتلاوته من الصلاح الذي يدعو الى امثاله بالمشاكلة التي بينه وبينه إلى غير ذلك[1].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)﴾

س- كيف يطلق سبحانه وتعالى لفظة «العزيز الكريم» وهو يخاطب المشرك أو الكافر؟ وماذا يعني هذا الخطاب؟

ج - هي من الأضداد ومما يشبه الأضداد أيضاً قولهم للعاقل: يا عاقل، وللجاهل إذا استهزءوا به: يا عاقل. يريدون: يا عاقل عند نفسك، قال عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)﴾ [الدخان: ٤٨-٤٩]، معناه: عند نفسك؛ فأما عندنا فلست عزيزاً ولا كريماً.

(١) التبيان ج٦ ص٥١٣ .

ومن امثلة ذلك في القرآن قوله عز وجلّ فيما حكاه عن مخاطبة قوم شعيب شعيباً بقولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، أرادوا: أنت الحليم الرشيد عند نفسك، قال الشّاعر:

فَـقُـلْـتُ لِـسَـيِّـدِنَـا يَـا حَـلِـيـمُ إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْواً رَفيقا[1]

أراد: يا حليم عند نفسك، فإنما عندي فأنت سفيه.

قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

س- ما المقصود بقوله تعالى «فارغاً» ؟

ج ـ يقول المفسّرون: معنى الآية: وأصبح فؤاد أُمّ موسى فارغاً من كلّ الهمّ إلاّ من الاهتمام بموسى والإشفاق عليه إن كادت لتبدي باسمه، فتقول: هو ابني.

وقالَ بعض أهل اللُّغة معنى الآية: وأصبح فؤاد أُمّ موسى فارغاً من الحزن لعلمها بأنّ موسى لم يُقْتَل؛ إذْ كان الله عزّ وجلّ قد أوحى إليها أنهُ سوف يردّه عليها، ويجعله من المرسلين إن كادت لَتُبْدي به، أي بذهاب الحزن.

وقالَ: العرب تقول: ذهب دمُ فلان فِرْغاً، إذا ذهب باطلاً، لم يُقْتل قاتله ولم تؤخذ منه دية، قال الشّاعر:

---

(١) الصحاح - الجوهري ج٤ ص١٤٧٠ .

فــإِنْ يَــكُ أَذْوادٌ أُصِــبْــنَ ونِــسْــوَةٌ

فَــلَــنْ تـذهـبـوا فِـرْغـاً بـقـتـل حِـبـالِ

أي لم تذهبوا بدمه باطلاً. وقالَ الأخفش: معناه وأصبح فؤادُ أمّ موسى فارغاً من الوحي إن كادت لتبدي به، لتبدي بالوحي.

وقيل في معنىٰ فارغاً اي: خالياً من كل شيء، إلا من ذكر موسى. أي: صار فارغاً له، عن ابن عباس وقتادة والضحاك. وقيل. فارغاً من الحزن، لعلمها أن ابنها ناج، سكوناً إلى ما وعدها الله تعالى به.

وقيل: فارغاً من الوحي الذي أوحي إليها بنسيانها، فإنها نسيت ما وعدها الله تعالى به، عن الحسن وابن زيد. في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ معناه: إنها كادت تبدي بذكر موسى، فتقول: يا إبناه ! من شدة الغم والوجد، عن ابن عباس وقتادة والسدي.

وقيل: معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الغرق، عن مقاتل. وقيل: معناه همت بأن تقول إنها امه، لما رأته عند دعاء فرعون إياها للإرضاع، لشدة سرورها به، عن جعفر بن حرب. وقيل: معناه أنها كادت تبدي بالوحي. ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر واليقين. والربط على القلب إلهامه الصبر وتقويته، عن الزجاج.

وقيل: معناه لولا أن قوينا قلبها بالعصمة والوحي. وجواب ﴿لولا﴾ محذوف، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لأظهرته.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فعلنا ذلك لتكون من جملة المصدقين بوعدنا، الواثقين بوحينا[1]

قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

س- لماذا قال سبحانه وتعالى في الأولى «إنا إليكم مرسلون» وقال في الثانية «إنا إليكم لمرسلون» الا يؤيد هذا ما يذهب اليه البعض في قوله: إني أجد في كلام العرب حشواً: يقولون عبد الله قائم، وإن عبد الله لقائم، والمعنى واحد؟ ومن هم هولاء الرسل؟

ج - ليس كذلك بل ان المعاني مختلفة، فعبد الله قائم إخبار عن قيامه، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر، ويسمى النوع الأول من الخبر ابتدائياً والثاني طلبياً والثالث إنكارياً وإخراج الكلام على هذه الوجوه إخراج على مقتضى الظاهر وكثيراً ما يخرج على خلافه فينزل غير السائل منزلة السائل إذا قدم إليه ما يلوح له بحكم الخبر فيستشرف له استشراف المتردد الطالب كقوله تعالى: ﴿وَلَا

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج٧ ص٤١٨ .

تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ وقوله ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ وقول بعض العرب:

فغنها وهي لك الفداء إن غناء الإبل الحداء

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة، فيها دقة وغموض، روي عن الأصمعي أنه قال: كان أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحمر يأتيان بشاراً فيسلمان عليه بغاية الإعظام ثم يقولان: يا أبا معاذ ما أحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما، ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال، ثم ينصرفان، فأتياه يوماً فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكما، قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب، قال: نعم إن ابن قتيبة يتباشر بالغريب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف، قالا: فأنشدناها يا أبا معاذ:

بكرا صاحبي قبل الهجير

إن ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان إن ذاك النجاح: بكرا فالنجاح كان أحسن، فقال بشار: إنما بنيتها أعرابية وحشة فقلت إن ذاك النجاح كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة، قال: فقام خلف فقبل بين عينيه، فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبي عمرو بن العلاء وهم من فحولة هذا الفن إلا للطف المعنى في ذلك وخفائه.

وقيل: معناه واذكر لهم مثلاً «أصحاب القرية» وهذه القرية أنطاكية في قول المفسرين. ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ أي: حين بعث

الله إليهم المرسلين ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ أي: رسولين من رسلنا «فكذبوهما» أي: فكذبوا الرسولين. قال ابن عباس: ضربوهما، وسجنوهما. «فعززنا بثالث» أي: فقويناهما، وشددنا ظهورهما برسول ثالث، مأخوذ من العزة وهي القوة والمنعة، ومنه قولهم: من عز بز أي: من غلب سلب.

قال شعبة: كان اسم الرسولين: شمعون ويوحنا، واسم الثالث: بولس. وقال ابن عباس، وكعب: صادق، وصدوق، والثالث سلوم. وقيل: إنهم رسل عيسى عليه السلام، وهم الحواريون، عن وهب وكعب قالا: وإنما أضافهم تعالى إلى نفسه، لأن عيسى عليه السلام أرسلهم بأمره. ﴿فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾ أي قالوا لهم: يا أهل القرية ! إن الله أرسلنا إليكم. ﴿قالوا﴾ يعني أهل القرية ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ فلا تصلحون للرسالة، كما لا نصلح نحن لها ﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾ تدعوننا إليه ﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾ أي: ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون. اعتقدوا أن من كان مثلهم في البشر، لا يصلح أن يكون رسولاً، وذهب عليهم أن الله، عز اسمه، يختار من يشاء لرسالته، وأنه علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة، وتحمل أعبائها. ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ وإنما قالوا ذلك بعدما قامت الحجة بظهور المعجزة، فلم يقبلوها. ووجه الاحتجاج بهذا القول أنهم ألزموهم بذلك النظر في معجزاتهم، ليعلموا أنهم صادقون على الله، ففي ذلك تحذير شديد. ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ أي: وليس يلزمنا إلا أداء الرسالة، والتبليغ الظاهر. وقيل: معناه وليس علينا أن نحملكم على الإيمان، فإنا لا نقدر عليه. ﴿قالوا﴾ أي: قال هؤلاء الكفار في جواب الرسل، حين عجزوا عن إيراد

شبهة، وعدلوا عن النظر في المعجزة ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ أي: تشاءمنا بكم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ عما تدعونه من الرسالة، ﴿لنرجمنكم﴾ بالحجارة، عن قتادة. وقيل: معناه لنشتمنكم، عن مجاهد[1]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

س- لماذا لم يعطف الله يستهزىء بهم على ﴿قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ وما تفسير هذه الآية والآية التي سبقتها؟

ج- لأنه لو عطف عليه لكان من مقول المنافقين وليس منه، فلم يعطف الله يستهزئ بهم على ﴿قالوا﴾ لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ فإن استهزاء الله تعالى بهم وهو إن خذلهم فخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون متصل لا ينقطع بكل حال خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم.

اما معنى الآية فقد روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام انه قال: وإذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة - قال لهم خيار المؤمنين كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار: - آمنوا برسول الله ﷺ

(١) المصدر نفسه ج٨ ص٢٦٤ .

وبعلي عليه السلام الذي أوقفه موقفه، وأقامه مقامه، وأناط مصالح الدين والدنيا كلها به. فآمنوا بهذا النبي، وسلموا لهذا الامام «في ظاهر الامر وباطنه»، كما آمن الناس المؤمنون كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار. قالوا: في الجواب لمن يقصون إليه، لا لهؤلاء المؤمنين فانهم لا يجترئون مكاشفتهم بهذا الجواب، ولكنهم يذكرون لمن يقصون إليهم من أهليهم الذين يثقون بهم من المنافقين، ومن المستضعفين ومن المؤمنين الذين هم بالستر عليهم واثقون فيقولون لهم: ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ يعنون سلمان وأصحابه لما أعطوا علياً خالص ودهم، ومحض طاعتهم، وكشفوا رؤوسهم بموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه حتى إذا اضمحل أمر محمد صلى الله عليه وآله طحطحهم أعداؤه، وأهلكهم سائر الملوك والمخالفين لمحمد صلى الله عليه وآله أي فهم بهذا التعرض لأعداء محمد جاهلون سفهاء، قال الله عز وجل: ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾ الاخفاء العقول والآراء، الذين لم ينظروا في أمر محمد صلى الله عليه وآله حق النظر فيعرفوا نبوته، ويعرفوا «به» صحة ما ناطه بعلي عليه السلام من أمر الدين والدنيا، حتى بقوا لتركهم تأمل حجج الله جاهلين، وصاروا خائفين وجلين من محمد صلى الله عليه وآله وذويه عليهم السلام ومن مخالفيهم، لا يأمنون أيهم يغلب فيهلكون معه، فهم السفهاء حيث لا يسلم لهم بنفاقهم هذا لا محبة محمد صلى الله عليه وآله والمؤمنين، ولا محبة اليهود وسائر الكافرين. لانهم به وبهم يظهرون لمحمد صلى الله عليه وآله من موالاته وموالاة أخيه علي عليه السلام ومعاداة أعدائهم اليهود والنصارىٰ والنواصب، كما يظهرون لهم من معاداة محمّد وعلّي صلوات الله عليهما وموالاة أعدائهم، فهم يقدّرون فيهم أن نفاقهم معهم كنفاقهم مع محمّد وعلّي صلوات الله عليهما ﴿ولكن لا يعلمون﴾ أن الأمر

كذلك، وأن الله يطلع نبيّه ﷺ على أسرارهم فيخسّهم ويلعنهم ويقطعهم[1].

وقولهم له: ﴿انما نحن مصلحون﴾ يحتمل امرين:

اولهما - ان يقول: إن هذا الذي عندكم فساد هو صلاح عندنا لأنا إذا قابلناهم استدعيناهم إلى الحق في الدين.

والثاني - أن يجحدوا ذلك البلاغ والافساد مأخوذ من الفساد: وهو كل ما يغير عن استقامة الحال تقول: فسد يفسد فساداً والافساد: إحداث الفساد والمفاسدة: المعاملة بالفساد والتفاسد: تعاطي الفساد بين اثنين والاستفساد المطاوعة على الفساد لا تفسدوا في الارض فيقولون انما نحن مصلحون ويقال لهم: آمنوا كما آمن الناس فيقولون أنؤمن كما آمن السفهاء؟ فليس هؤلاء منافقين بل مظهرون لكفرهم والآية في المنافقين قيل: المنافقون وإن كانوا يظهرون الايمان للنبيﷺ فانهم كانوا لايألون المسلمين خبالاً وكانوا يثبطون عن النبيﷺ ويدعون إلى ترك نصرته من يثقون باستماعهم منهم ومن يظنون ذلك به فربما صادفوا من المؤمنين التقي فيجيبهم بما ذكر الله فإذا أخبر أولئك النبيﷺ ثم ذكروا له ما قالوا وعاتبهم النبيﷺ عادوا إلى إظهار الايمان والندم عليه أو كذبوا قائله والحاكي عنهم وكان لا يجوز في الدين إلا قبول ذلك منهم بما يظهرون وخاصة في صدر الاسلام والحاجة إلى تألف قلوبهم ماسة وفيها دلالة على من قال بأن الكفار معاندون عالمون بخطاياهم وان المعرفة مزورة ووصفهم بأنهم ﴿هم المفسدون﴾ لا يمنع من وصف غيرهم

---

(١) تفسير الإمام العسكريعليه السلام - المنسوب الى الإمام العسكريعليه السلام ص١١٨، وبحار الانوار ج٣٧ ص١٤٨ .

بأنه مفسد لان ذلك دليل الخطاب وحكي عن ابن عباس: أن معنى قوله ﴿انما نحن مصلحون﴾ انما يريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين واهل الكتاب وحكي عن مجاهد انهم إذا ركبوا معصية الله قيل لهم: لا تفعلوا هذا قالوا: ﴿إنما نحن مصلحون﴾ أي: انما نحن على الهدى وكلا الامرين محتمل لأنهما جميعاً عندهم أنه إصلاح في الدين وإن كان ذلك إفساداً عند الله ومن حيث أنه خلاف لما أمرهم به وإنما جاز تكليف ما لا يشعر أنه على ضلال لأن له طريقاً إلى العلم(١).

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾

س- ما هو سبب العدول عن لفظ البدن إلى لفظ العظم؟ وما هي علة توحيده؟ وما هو معنى اشتعال الشيب؟

ج- قال الزمخشري: إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه وإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو كان جمع لكان قصد إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن بعض عظامه ولكن كلها.

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ١ ص ٧٥ .

واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملته حتى لا يبقى من السواد شيء أو لا يبقى منه إلا ما لا يعتد به، ومنه قول أبي الطيب:

أتى الزمان بنوه في شبيبته

فسرهم وأتيناه على الهرم

وقيل: الوهن هو الضعف ونقصان القوة وقد نسبه إلى العظم لانه الدعامة التي يعتمد عليها البدن في حركته وسكونه، ولم يقل: العظام مني ولا عظمي للدلالة على الجنس وليأتي بالتفصيل بعد الاجمال(١).

وعن مجاهد، في قوله: وهن العظم مني قال: نحل العظم. قال عبد الرزاق، قال الثوري: ويلغني أن زكريا كان ابن سبعين سنة. وقد اختلف أهل العربية في وجه النصب في الشيب، فقال بعض نحويي البصرة: نصب على المصدر من معنى الكلام، كأنه حين قال: اشتعل، قال: شاب، فقال: شيباً على المصدر. قال: وليس هو في معنى: تفقأت شحماً وامتلأت ماء، لأن ذلك ليس بمصدر. وقال غيره: نصب الشيب على التفسير، لأنه يقال: اشتعل شيب رأسي، واشتعل رأسي شيباً، كما يقال: تفقأت شحماً، وتفقأ شحمي(٢).

قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

---

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج١٤ ص٨ .

(٢) جامع البيان - ابن جرير الطبري ج ٦١ ص ٥٨ .

س- العذاب وجهنم كيف هما من آلاء الله تعالى؟

ج- إن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات من آلائه تعالى ونحوه قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال عقب كل قصة: ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة.

وقيل: معناه أنهم يعذبون بالنار مرة، ويتجرعون من الحميم، يصب عليهم ليس لهم من العذاب أبداً فرج، عن ابن عباس. والوجه في ذلك أن التذكير بفعل العقاب والإنذار به، من أكبر النعم، لأن في ذلك زجراً عما يستحق به العذاب، وحثاً وبعثاً على فعل ما يستحق به الثواب[1].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾

س- ان إيمانهم أي الملائكة ليس مما ينكره أحد فلماذا ذكره؟ وما هو تفسير هذه الآية؟

ج- إنه لو لم يقصد الإطناب لم يذكر ﴿ويؤمنون به﴾ لأن إيمانهم

(١)تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٩ ص ٣٤٤ .

ليس مما ينكره أحد من مثبتيهم وحسن ذكره إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ فإنه لو اختصر لترك قوله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ لأن مساق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة وحسنه دفع توهم أن التكذيب للمشهود به في نفس الأمر، ونحوه قول البلغاء: لا وأصلحك الله. وله امثلة كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ أنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمر عظيم يحدثه الله تعالى في العصا فينبغي أن يتنبه لصفاتها حتى يظهر له التفاوت بين الحالين. وكذلك قوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ لإظهار الابتهاج بعبادتها والافتخار بمواظبتها ليزداد غيظ السائل، واعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في اصل المعنى[1].

وهو كقول الشاعر:

ولست بنظار إلى جانب الغنى   إذا كانت العلياءُ في جانب الفقرِ

ومنه قول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجدٍ   تلقاها عرابه باليمينِ

اما عن تفسير الآية ففي اكمال الدين والعيون والعلل عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام انه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق

(١) البرهان – الزركشي ج٤ ص٤٥ .

الله خلقاً افضل مني ولا اكرم عليه مني، فقلت: يا رسول الله فانت افضل أو جبرئيل ؟ فقال: يا علي ان الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل من بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك وان الملائكة لخدامنا وخدام محبينا، يا علي ! الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا يا علي! لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الارض فكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأن اول ما خلق الله خلق ارواحنا فأنطقنا بتوحيده وبتمجيده ثم خلق عزّ وجلّ الملائكة فلما شاهدوا ارواحنا نوراً واحداً، استعظموا امرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، ولما ثبت ان ذواتهم المقدسة هي اول الخلق وغرض الحق فبدليل العقل يجب على الله تعالى لطفاً ان يعرفهم جميع خلقه ويعرض محبتهم على جميع عباده وإلا ليلزم الانفكاك بين الغاية والمعنى فهم غرض الخلق وغرض خلقهم ذات الحق وان شئت فقل ان الله لم يخلق الخلق، إلا للعبادة ولا يعبد إلا بعد المعرفة وهي إنما تحصل بقبول الايمان بالله كما هو، وهو موقوف على الاقرار بالرسول المخبر عن الله، وهو موقوف على الاقرار بالامام المخبر عن الرسول فعلى الله ان يرشد إليه ويدل عليه[1].

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ

(١) علل الشرائع – الشيخ الصدوق ج١ ص٥ .

وَعَفَا عَنكُمْ فَالْـَٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

س - ما معنىٰ الرفث في الآية الكريمة؟ وما معنىٰ تختانون؟ ولِمَ عبّر عن الجماع باللباس؟

ج - الرفث: الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته، يعني التقبيل والمغازلة ونحوهما، مما يكون في حالة الجماع، وأصله قول الفحش. والرفث ايضاً: الفحش من القول، وكلام النساء في الجماع.

اما تختانون في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، اي تخونون انفسكم ويخون بعضكم بعضاً[1].

وإنما جعل كل واحد منهما لباساً للآخر لأن الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه فهو أشبه باللباس المشتمل عليه، قال الجعدي:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها   تثنت فكانت عليه لباسا

وقيل: شبه كل واحد باللباس للآخر لأنه يصونه من الوقوع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة.

(١) لسان العرب - ج٢ ص١٥٣ .

س- ما معنى قول الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ [التكوير: ١٥-١٦] ولماذا سميت بذلك؟

ج- ذهب المفسرون إلى أن الخنّس هي الكواكب السبعة: زحل، المشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر.

وقالوا: إن هذه الكواكب هي المعنية بقوله تعالى: ﴿فالمدبرات أمراً﴾. وسميت كنساً لأنها تجري في البروج ثم تكنس أي تستتر كما تكنس الظباء، وخنساً لاستقامتها ورجوعها. وقيل: الخنس والكنس منها خمسة، دون الشمس والقمر. وسميت خنساً لأن الخنوس في كلام العرب الانقباض. وفي الحديث الشريف: الشيطان يوسوس للعبد، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي انقبض ورجع. فيكون في الكوكب بمعنى الرجوع. وكنساً من قول العرب كنس الظبي إذا دخل الكناس، وهو مقره، ويكون في الكوكب اختفاءه تحت ضوء الشمس.

وأسماء هذه الكواكب عند العرب مشتقة من صفاتها.

فقالوا في زحل: زحل فلان إذا أبطأ، وبذلك سمي هذا الكوكب لبطئه في السماء. وقيل الزحل والزحيل الحقد وهو في طبعه. وهذا الكوكب عند المفسرين هو المعني بقول الله عز وجل ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق: ١-٣]

وقالوا في المشتري: أنه إنما سمي بذلك لحسنه، كأنه اشترى الحسن لنفسه. وقيل لأنه نجم الشراء والبيع، ودليل الأموال، والأرباح.

وقالوا في المريخ: أنه مأخوذ من المرخ وهو شجر تحتك بعض أغصانه ببعض فتوري ناراً فسمي بذلك لاحمراره.

وقال آخرون: المريخ سهم لا ريش له إذا رمي به لا يستمر في ممرّه وكذلك المريخ، فيه التواء كثير في سيره وحكمه، فشبه بذلك.

وقالوا في الشمس: إنها لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية وثلاثة سفلية، سميت بذلك لأن الواسطة التي في المخنقة تسمى شمسة.

وقالوا في الزهرة: إنها مشتقة من الزاهر، وهو الأبيض النير من كل شيء.

وقالوا في عطارد: أنه الناقذ في الأمور، ولهذا سمي بالكاتب. وهكذا هذا الكوكب كثير التصرف مع ما يلابسه ويقارنه. وقالوا في القمر: أنه مأخوذ من القمرة، وهي البياض، والأقمر الأبيض.

وقال بعضهم: هي النجوم الدراري الخمسة، تخنس في مجراها فترجع، وتكنس فتستتر في بيوتها، كما تكنس الظباء في المغار، والنجوم الخمسة: بهرام، وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشتري.

كما روي عن سماك، عن خالد بن عرعرة، أن رجلاً قام إلى علي عليه السلام، فقال: ما الجوار الكنس؟ قال: هي الكواكب[1].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾

س- ما هو المعنى من قوله تعالى ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؟

ج- قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، يقال: معناه خلقها مرفوعة بلا عَمَد، فالجحد واقع في موضعه الَّذي يجب كونه فيه، ثمَّ قال بعد: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أي لا تحتاجون مع الرؤية إلى خبر.

ويفسَّر تفسيراً آخر، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد، وهو: الله الَّذي رفع السموات بعمد لا ترون تلك العمد، فدخل الجحْد على العَمَد في اللفظ، وهو في المعنى منقول إلى الرؤية، كما تقول العرب: ما ضربت عبد الله وعنده أحد، يريدون: ضربت عبد الله وليس عنده أحد.

ويقال: ما ينشأ أحد ببلد فيزال يذكره، أي إذا نشأ ببلد لم يزل يذكره. وأنشد الفَرَّاءُ حجَّة لهذا المعنى:

(١) جامع البيان – ابن جرير الطبري ج ٣ ص ٩٣ .

وَلا أراهـــا تـــزالُ ظَـــالِـــمَـــةً
تُحــدِثُ لِي نَـــكْـــبَـــةً وَتَـــنـــكـــؤُهـــا

أراد: وأراها لا تزال ظالمة.

وقال الجبائي: تأويل ابن عباس ومجاهد خطأ لانه لو كان لها عمد، لكانت اجساماً غلاظاً ورثيت، وكانت تحتاج إلى عمد آخر فكان يتسلسل. فإذاً لا عمد لها، بل الله تعالى سكنها حالاً بعد حال بقدرته التي لا توازيها قدرة قادر[1].

ومثله قول الشاعر:

عــلــى لاحــب لا يــهــتــدي لــمــنــاره

والمعنى انه لا منار له، لانه لو كان له منار لاهتدى به. و﴿عمد﴾ جمع عمود يقال: عمد، كما يقال: اديم وادم. قال أبو عبيدة: وهذا الجمع قليل. وقد قرئ في الشواذ «عمد» بضم العين والميم، وهو القياس. والعمود السارية، ومثله الدعائم والسند واصله منع الميل، فمنه التعميد والاعتماد، قال النابغة[2]:

وخــيــس الــجــن انــي قــد اذنــت لــهــم
يــبــنــون تــدمــرَ بــالــصــفــائــح والــعــمــدِ

---

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج٨ ص٢٧٣ .
(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٢١٣ .

قال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

س – ما معنىٰ (الأمة) لغوياً وما معنى قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾

ج – الأُمّة كلمة من الأضداد، يقال: الأُمّة للواحد الصالح الّذي يُؤتمُّ به، ويكون عَلَماً في الخير، كقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

ويقال: الأُمّة أيْضاً للواحد المنفرد بالدِّين، قال سعيد بن زيد ابن عَمْرو بن نُفَيل: قلت: يا رَسُول الله، إنَّ أَبي قد كانَ عَلَى ما رأيت وبَلَغك، أفلا أستغفر له؟ قال: بلَى، فإنَّه يُبعثُ يوم القيامة أُمّةً وَحْدَهُ.

وتفسر هذه الكلمة من كتاب الله تعالى تفسيرين متضادّين، وهو قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، فيقول بعضُ المفسِّرين: معناه كان النَّاس مؤمنين كلّهم. ويَقُولُ غيره: معناه كان النّاس كفّاراً كلُّهم، فالذين قالوا: الأُمّة هاهنا المؤمنون، ذهبوا إلى أنَّ الله عزّ وجلّ لمّا

غرّق الكافرين من قوم نوح بالطوفان، ونجّى نوحاً والمؤمنين، كان النّاس كلُهم من ذلك الوقت مؤمنين، ثمّ كفر بعضُهم بعد ذلك الوقت فأرسل الله إليهم أنبياءَ يبشرون وينذرون، ويدلُونهم على ما يَسْعَدُون به، ويتوفّر منه حظّهم. ومن قال: الأُمّة في الآية معناها الكافرون، قال: تأويل الآية: كان النّاس قبل إرسال الله نوحاً كافرين كلُهم؛ فأرسل الله نوحاً وغيره من النّبيّين المبعوثين بعده يبشّرون ويُنذرون، ويدلُون النّاس على ما يتديّنون به ممّا لا يقبل الله يوم القيامة غيرَه. والله أعلم بحقيقة القولين وأحكم(١).

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

س- ما المقصود بقوله تبارك وتعالى: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ كانَ منَ الجِنّ﴾؟ وما معنى ﴿إبليسَ﴾ وهل هو اسم عربيّ أم اعجميّ؟

ج- هو ممّا يفسّر من كتاب الله عزّ وجلّ تفسيرين متضادّين، قوله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾، يقال: الجنّ

(١) الباقلاني – ابو البركات الانباري ص٣٥٩ .

الملائكة، سُمُّوا جناً لاستتارهم عن النّاس، من قول العرب: قد جنّ عليه اللّيل، وأجَنّه وجَنّه، إذا ستره، قال الشّاعر:

يُوَصِّلُ حَبْلَيْهِ إذا اللّيلُ جَنَّهُ
لِيَرْقَى إلى جَارَاتِهِ في السّلالِمِ

وروي عن محمد بن يونس، قال: حدّثنا إبراهيم بن زكريا البزّاز، قال: حدّثنا جرير، عن ثعلبة، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾، قال: كان من حيٍّ من الملائكة، يصوغون حِلْيَةَ أهل الجنّةِ.

وأخبرنا أبو الحسن بن البراء، قال: حدّثنا ابن غانم وابن حميد، قالا: حدّثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن خلاّد بن عطاء، عن طاوس - أو عن مجاهد أبي الحجاج - عن ابن عباس وغيره، قالوا: كان إبليس قبل أن يركبَ المعصية مَلَكاً من الملائكة، اسمه عَزازيل، وكانَ من سكّانِ الأرض من الملائكة يُسَمّون الجِنّ، ولم يكن من الملائكة مَلَكٌ أشدُّ اجتهاداً ولا أكثر منه علماً، فلمّا تكبّر على الله عزّ وجلّ، وأبى السُّجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطاناً مَريداً وسمّاه إبليس، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾.

كما ورد عن ابن إسحاق انه قال: وقالت العرب: الجنّ ما استتر عن النّاس ولم يَظْهر. وقالَ أصحاب هذا القول: الدليل على

أنَّ إبليس من الملائكة أنَّ الله جلّ وعزّ استثناه منهم في سجودهم.

ويدلُّ أيضاً على أنَّ الملائكة يقال لهم جنّ قول الأعشى في ذكره النبي سُلَيْمَان بن داود عليه السلام:

لَوْ كانَ شيئاً خالِداً مُعَمَّراً لكان سليمانُ البريءُ من الدَّهْرِ
بَراه إلـهي واصْطَفاه عبادَهُ ومَلَّكه ما بين ثُرْيَى إلى مِصْرِ
وسَخَّرَ من جِنّ الملائكِ تِسْعَةً قياماً لديه يَعْمَلُون بلا أَجْرِ

كذلك روي عن محمد بن يونس، انه قال: حدَّثنا أبو عاصم، قال: حدَّثنا شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إنَّما قيل لإبليس: الجنيّ، لأنَّه كان من الملائكة، وإنَّ الله خلق ملائكة، فقال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩]، فأبوْا فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثمَّ خلَق ملائكة آخرين، فقال لهم مثل ما قال للأوَّلين، فأبوْا، فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ثمَّ خلق هؤلاء الملائكة الذين هم عنده، فقال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩]، فقالوا: سمعنا وأطعنا، فقال ابن عباس: فكان إبليس من الملائكة الذين حُرِقُوا أوَّلاً. قال أبو عاصم: ثمَّ أعاده الله ليضِلَّ به مَنْ يشاءُ.

كما ورد عن أحمد بن الحسين، أنه قال: حدَّثنا عثمان بن أبي

شيبة، قال: حدَّثنا سعيد بن سليمان، خبَّرنا عبَّاد، عن سفيان بن حسين، عن يعلَى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان إبليس اسمه عَزَازيل، وكانَ من أشراف الملائكة، من أولي الأربعة الأجنحة، ثمَّ أُبْلِس بعد ذلك.

وورد عن محمد بن عثمان، أنه قال: حدَّثنا منجاب، قال: أخبرنا بشر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس، قال: إنَّما سُمِّيَ إبليس إبليس، لأنَّه أُبْلِس من الخير كلِّه، فقال اللغويون: هذا التفسير يشهد لمعنى إبليس وصَرْفِه عن الخير واستحقاقه البُعْد منه لأنَّ لفظ إبليس مأخوذ من أُبْلِس أو أَبلَس، لأنَّه لو كان كذلك كان عربياً منوَّناً، كما يجري إكليل، وهو على مثاله، فلمَّا وجدنا الله عزّ وجلّ قال: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾، فلم ينوّنه عَلِمْنا أنَّهُ أعجميّ مجهول الاشتقاق، ولأنَّ ما عرف اشتقاقه كان عربياً يلزمه من التعريب ما يلزم زيداً وعمراً وأشباههما، إلاَّ أنْ يكون مُنِعَ الإجراءُ للتعريف، وأنَّه اسم واقع على أولاده، وجميع جنسه فَيُلْحق بثمود وما أشبهه في ترك الإجراء.

وقالَ آخرون: ما كان إبليس من الملائكة قطّ، وهو أبو الجنّ، كما كان آدم أبو الإنس، فاحتَجَّ عليهم بقوله: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾، وبقوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾، فاحتجُوا بأنَّه لمَّا أُمِرَ بالسُّجود كما أُمروا فخالف وأطاعوا، أُخرج من فعلهم، ونُصِب على الاستثناء، وهو من غير جنسهم، كما تقول العرب: سارَ النَّاس إلاَّ الأثقال، وارتحل أهلُ العسكر إلاَّ الأبنية والخيام[1].

(١) المصدر نفسه ص٤٤٦ .

وقالَ أَصحاب القول الأوّل: يجوز أَن يكون تأْويلُ قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كان ضالاً؛ كما أَنَّ الجنّ كانوا ضُلالاً، فلمّا فعل مثل فعلهم أُدخل في جملتهم كما قال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، فهذا ما انتهى إلينا، والله أَعلم بحقيقة ذلك وأحكم.

وقيل: أنه من الملائكة، ولذلك استثناه الله تعالى، فقال: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾. وقال قوم: أنه كان من الملائكة بدلالة هذه الآية، لكن الله مسخه حيث خالف الامر، فهو بعد المسخ خارج عن الملائكة، وقد كان قبل ذلك ملكاً، قالوا: ومعنى قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي من خزان الجنة. وروي ذلك عن ابن عباس، قالوا: ويحمل على معناه أنه صار من الجن، فيكون ﴿كان﴾ بمعنى ﴿صار﴾ كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي من صار، لانها لو كانت «كان» على حقيقتها، لوجب ألا يكلم بعضهم بعضاً، لانهم كانوا صبياناً في المهود. قالوا: ومعنى صيرورته من الجن صيرورته ضالاً، كما أن الجن ضالون، لان الكفار بعضهم من بعض، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

وقيل أيضاً: إن ابليس كان من طائفة من الملائكة يسمون جناً من حيث كانوا خزنة الجنة وقيل سموا بذلك لاختفائهم عن العيون.

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤٣٥ .

وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾، لأن قريشاً قالت: الملائكة بنات الله، والمعروف عن ابن عباس ما قلناه أنه كان من الملائكة فأبى واستكبر وكان من الكافرين ومن قال: إن إبليس خلق من نار ومن مارج والملائكة لم يخلقها من ذلك فقوله ضعيف، لانه لا يمنع أن يكون الله تعالى خلق الملائكة اصنافاً: صنفاً من نار، وصنفاً من نور، وصنفاً من غير ذلك، وصنفاً آخر لا من شيء، فاستبعاد ذلك ضعف معرفة ﴿وابليس﴾ قال الزجاج والرماني وغيرهما من النحويين انه ليس بمأخوذ من الابلاس كقوله ﴿مبلسون﴾ أي: آيسون من الخير قالوا: لانه أعجمي معرب بدلالة أنه لا ينصرف للعجمة والتعريف وقال الطبري: هو مشتق من الابلاس ووزنه افعيل وأنشد العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرسا ... قال نعم أعرفه وأبلسا

وقال رؤبة:

وحضرت بوم الخميس الاخماس ... وفي الوجوه صفرة وابلاس

يعني اكتئاباً وكسوفاً.

وقال: إنما لم يجر استثقالاً، من حيث كان اسماً لا نظير له من أسماء العرب فشبه بأسماء العجم التي لا تنصرف[1].

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)﴾

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ١ ص ١٥٢ .

س- ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وهل نزلت المائدة، أم لم تنزل؟

ج- هو ممّا يفسّر من كتاب الله عزّ وجلّ تفسيرين متضادّين، قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

روي عن عَمّار بن ياسر، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: نزلت المائدة خُبزاً ولحماً، وأُمروا ألا يخونوا ولا يخبئوا ولا يدّخروا، فخانوا، وخَبئُوا وادّخروا، فمسخوا قِردة وخنازير.

وروي عن محمد بن يونس، أنه قال: حدّثنا عمر بن يونس ابن القاسم اليماميّ، قالَ: حدّثنا إسماعيل بن فيروز، عن أبيه، عن وهب بن منبّه، قالَ: كانت مائدةً يجلس عليها أربعة آلاف، فقالوا لقوم من وُضَعائهم: إنّ هؤلاء يلطّخون ثيابنا علينا، فلو بنينا لها دكاناً يرفعها! فبنوْا لها دكاناً، فجعلت الضُّعفاءُ لا تصل إلى شيء، فلمّا خالفوا أمرَ الله جلّ وعزّ رفعها عنهم.

وروي عن بشر بن عمر، أنه قال، خبّرنا شعبة عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ، في قوله: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾، قالَ: خبزاً وسمكاً.

وحدّثنا محمد، قالَ: حدّثنا الحكم بن مروان، قالَ: أخبرنا الفضل بن مرزوق، عن عطية، قالَ: كانت سمكة وجدوا فيها كلّ شيء، وقال ابن عباس: مائدة طعام.

وعن يوسف القطّان، قالَ: حدَّثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، قالَ: نزلت المائدة وهي طعام يفور، فكانوا يأكلون منها قعوداً، فأحدثوا فرفعت شيئاً، فأكلوا على الرُّكب، ثمّ أحدثوا، فرفعت شيئاً، فأكلوا قياماً، ثمّ أحدثوا، فرفعت البتّة.

وروي عن عبد الله، أنه قالَ: خبّرنا يوسف، قالَ: خبّرنا عمرو بن حُمران، عن سعيد، عن قَتادة، قالَ: كانت مائدة ينزل عليها ثَمَرٌ من ثمار الجنّة، وأُمِروا ألاّ يَخونوا، ولا يخبئوا ولا يدّخروا، بلاءً ابتلاهم الله به، فكانوا إذا فعلوا شيئاً من ذلك أخبرهم به عيسى عليه السلام، قالَ: فخانوا وخبئوا وادَّخروا[1].

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾

س – ما هي حقيقة لبثهم في قوله تعالى؟ وما معنى قوله جلّ وعزّ: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾؟ ولماذا أُنزلت هذه الآية من سورة أهل الكهف؟

ج – هو ممّا يفسّر من كتاب الله جلّ اسمه تفسيرين متضادين، قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، يُقال: هذا ممّا أخبر الله جلّ وعزّ به، ودلّ العالَمَ فيه على حقيقة لبثهم.

(١) الباقلاني ص٤٦٣ .

وقال آخرون: هذا ممَّا حكاه الله عزّ وجلّ عن نصارى نجران، ولم يصحح قولهم وما ادَّعوه فيه، واحتجُّوا بقراءةِ عبد الله ابن مسعود: قَالوا ولَبِثُوا في كَهْفِهِمْ، واحتجُّوا أيْضاً بقوله عزّ وجلّ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، فقوله: ﴿ولَبِثُوا﴾ منعطف على قولهم الأوّل، وغير خارج من معناه.

وقالوا: الدَّليلُ على أنّه من كلام نصارى نجران، قوله عزّ وجلّ: ﴿قل اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾، أي لا تقبلْ ذا القولَ منهم، وهذا من المبهَمَات الَّتي لا يعلمُها راسخ في العلم، بل ينفرد الله عزّ وجلّ بعلمها دون خلقه.

وهي أحد الامور الثلاثة التي أشارت اليهود على قريش أن تسأل النبيﷺ عنها وتختبر بها صدقه في دعوى النبوة: قصة أصحاب الكهف وقصة موسى وفتاه وقصة ذي القرنين على ما وردت به الرواية غير أن هذه القصة لم تصدر بما يدل على تعلق السؤال بها كما صدرت به قصة ذي القرنين: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾، وإن كان في آخرها بعض ما يشعر بذلك كقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ على ما سيجيء.

وسياق الآيات الثلاث التي افتتحت بها القصة مشعر بأن قصة الكهف كانت معلومة إجمالاً قبل نزول الوحي بذكر القصة وخاصة سياق قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ وأن الذي كشف عنه الوحي تفصيل قصتهم من قوله:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾، إلى آخر الآيات ووجه اتصال آيات القصة بما تقدم أنه يشير بذكر قصتهم ونفي كونهم عجباً من آيات الله أن أمر جعله تعالى ما على الارض زينة لها يتعلق بها الانسان ويطمئن إليها مكباً عليها منصرفاً غافلاً عن غيرها لغرض البلاء والامتحان ثم جعل ما عليها بعد أيام قلائل صعيداً جرزاً لا يظهر للانسان إلا سدى وسراباً ليس ذلك كله إلا آية إلهية هي نظيرة ما جرى على أصحاب الكهف حين سلط الله عليهم النوم في فجوة من الكهف ثلاث مائة سنين شمسية ثم لما بعثهم لم يحسبوا مكثهم ذلك إلا مكث يوم أو بعض يوم. فمكث كل إنسان في الدنيا واشتغاله بزخارفها وزيناتها وتولهه إليها ذاهلاً عما سواها آية تضاهي في معناها آية أصحاب الكهف وسيبعث الله الناس من هذه الرقدة فيسألهم ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، فما آية أصحاب الكهف ببدع عجيب من بين الآيات بل هي متكررة جارية ما جرت الايام والليالي على الانسان(١).

(١)تفسير الميزان – السيد الطباطبائي ج ٣١ ص ٢٤٤ .

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

س - ما معنى قول الله عزّ وجل: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، وما معنى كلمة ﴿الأعراف﴾؟ وهل يدخلون هؤلاء الجنة أم النار؟

ج - روي عن الحجال عن الحسن بن الحسين عن ابن سنان عن عيينة بياع القصب عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قال: نحن اصحاب الاعراف فمن عرفناه كان منا وىن كان منا كان في الجنة ومن انكرناه في النار.

كما روي عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي عن اسحق ابن ميمون عن رجل عن سعد قال: سألت ابا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فقال: الأئمة يا سعد.

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها نعم الله عزّ وجل عليه وفيها يقول عليه السلام: ونحن اصحاب الاعراف انا وعمي واخي وابن عمي والله فالق الحب و النوى لا يلج النار لنا محب ولا

يدخل الجنة لنا مبغض، لقول الله عزّ وجل: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

كذلك روي عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن محمد بن جمهور عن عبد الله بن عبد الرحمن عن الهيثم بن واقد عن صفوان قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكوا إلى امير المؤمنين عليه السلام فقال : يا امير المؤمنين ما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فقال: نحن على الاعراف، نعرف انصارنا بسيماهم ونحن الاعراف الذين لا يعرف الله عز وجل الا بسبيل معرفتنا ونحن الاعراف يعرفنا اللّه عز وجل يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار الا من انكرنا وانكرناه[1].

ويُقال: أصحاب الأعراف قوم من أُمّة محمد صلى الله عليه وآله تستوي حسناتهم وسيئاتهم، فيُمنعُون الجنّة بالسيِّئات، ويُمنعون النّار بالحسنات، فهم على سُورٍ بين الجنّة والنار، إذا نظروا إلى أهل الجنّة، قالوا: السّلام عليكم، وإذا نظروا إلى أهل النّار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾.

وحدّثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الشوارب القاضي، قال: حدّثنا أبو الوليد، قال: حدّثنا أبو معشر، عن يحيى بن شِبْل

(١) تفسير نور الثقلين – الشيخ الحويزي ج٢ ص٣٢ .

الأنصاري، عن عمر بن عبد الرحمن المزنيّ عن أبيه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: هم قوم قُتِلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم. فمنعهم الجنّة معصيةُ آبائهم، ومنعهم النّارَ قتلُهم في سبيل الله عزّ وجلّ. وقال بعض المفسرين: أصحاب الأعراف ملائكة.

أخبرنا أحمد بن الحسين، قال: حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدَّثنا وكيع، عن عمران بن حدير، عن أبي مَجْلَز، قال: أصحاب الأعراف ملائكة، قال: فقلت له: يقول الله عزّ وجلّ: رِجَالٌ، وتقول أنت: ملائكة! قال: إنّهم ذكور وليسوا بإناث. ويفسّر أيضاً قولَه عزّ وجلّ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾، تفسيرين متضادين، فيقول الكلبيّ: هذا يقوله الله عزّ وجلّ لأصحاب الأعراف، وقال: يَرَى أصحابُ الأعراف في النّار رؤساء المشركين فينادونهم: يا عاصي بن وائل، ويا وليد بن المغيرة، ويا أسود بن المطلب، ويا أبا جهل بن هشام؛ ما أغنى عنكم جَمْعُكم في الدُّنيا، وما كنتم تستكبرون، إذ أنتم الآن في النّار! ويَرَوْنَ في الجنّة المستضعفين من المسلمين: سَلْمان الفارسيّ، وعمّار بن ياسر وصُهَيباً، وعامر بن فُهَيرة، فيقولون للمشركين: أهؤلاءِ الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته! فيقول الله تبارك وتعالى لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾

وقال مُقاتل بن سليمان: يُقسِم أهلُ النّار أنّ أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنّة، فتقول لهم الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط: أهؤلاءِ الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته! ويقولون لهم أيضاً: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾.

والأعراف عند العرب: ما ارتفع وعلا من الأرض، ويستعمَل في الشَّرف والمجد، وأصله البِناء، قال الشَّاعر:

وَرِثْتُ بِناءَ آباءٍ كِرامٍ عَلَوْا في المَجْدِ أعرافَ البِناءِ

وواحد الأعراف عُرْف.

وقد ورد في بحار الأنوار ان الأعراف : سورَي الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي، وقيل : الأعراف الصراط[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

س - من هو ﴿ المؤمن ﴾ الذي يكتم إيمانه ؟ وما هو تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ .

ج - يقول بعض المفسِّرين: الرَّجُل المؤمن هو من آل فرعون، أي من أُمَّته وحيِّه ومَنْ يدانيه في النَّسب.

(١) بحار الأنوار - المجلسي ج ٨ ص ٢٣١ .

ويقول آخرون: الرَّجُل المؤمن ليس من آل فرعون، إنَّما يكْتُم إيمانه من آل فرعون، وتقدير الآية عندهم: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون.

وقيل: كان القائل ابن عم فرعون، فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ مخصصاً، وقال غيره كان المؤمن إسرائيلياً يكتم إيمانه عن آل فرعون، فعلى هذا يكون الوقف عند قوله ﴿وقال رجل مؤمن﴾ ويكون قوله ﴿من آل فرعون﴾ متعلقاً بقوله: ﴿يكتم﴾، أي يكتم إيمانه من آل فرعون. والاول اظهر في اقوال المفسرين. وقال الحسن: كان المؤمن قبطياً. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾، معناه إن المؤمن قال لفرعون إن يك موسى كاذباً في ما يدعوكم إليه فوبال ذلك عليه وان يك صادقاً في ما يدعيه يصيبكم بعض الذي يعدكم، قيل: انه كان يتوعدهم بأمور مختلفة، قال ذلك مظاهرة في الحجة والمعنى انه يلقي بعضه. والمراد يصيبكم بعضه في الدنيا. وقيل: هو من لطيف الكلام، كما قال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجتهِ   وقد يكونُ مع المستعجلِ الزللُ

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ أي لا يحكم بهداية من كان مسرفاً على نفسه ومتجاوز الحد في معصية الله كذاباً على الله. ويحتمل ان يكون المراد ان الله لا يهدي إلى طريق الثواب والجنة من هو مسرف كذاب ويجوز ان يكون ذلك حكاية عما قال المؤمن من آل فرعون. ويجوز ان يكون ذلك ابتداء خبر من الله تعالى بذلك، ثم قال يعني مؤمن آل فرعون ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ

﴿ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾، أي لكم الملك والسلطان على اهل الارض وذلك لا يمنع من بأس الله ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾، في ما ادعوكم من إلهيتي وتكذيب موسى. ثم حكى ما قال المؤمن فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ قال قوم: القائل لذلك موسى نفسه، لان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه، وهذا ضعيف لان قوله هذا كقوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ وكما اظهر هذا جاز ان يظهر ذلك[1].

وقيل ان اسم الرجل المؤمن من آل فرعون: حزقيل.

وعن أبي عبد الله عليه السلام. قال: ابن خاله. وفي رواية: ابن عمه. ولا تنافي بينهما[2].

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥)﴾

س ما معنى متشابهاً في قوله تعالى ذكره: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾.

ج- هو ممّا يفسّر من كتاب الله جلّ وعزّ تفسيرين متضادّين قوله

(١)التبيان - الشيخ الطوسي ج ٩ ص ٧٢ .

(٢)التفسير الأصفى - الفيض الكاشاني ج ٢ ص ١٠٩٩، والأمالي - الصدوق ٣٨٥، والاحتجاج ج ٢ص ١٣١ .

تعالى ذكره: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ﴾، يُقال: يشبه الطعامُ الَّذي يُؤْتَوْن به على مقدار العَشِيّ من الدُّنيا الطعامَ الَّذي يُؤْتَوْن به على مقدار الغَداة من الدُّنيا، فإذا طَعِمُوه وَجَدُوا له خلاف طعم الَّذي كان قَبْلَه، وفي هذا أَدَلُ دليل على حكمة الله جلّ وعزّ، ونفاذ قدرته أن يوجَد بِطِّيخ يجمع طعم التُّفَّاح والكُمَّثرى والرُّمَّان. ويُقال: متشابهاً، يشبه ثمر الدُّنيا.

وروي عن يوسف بن يعقوب، قال: حدَّثنا محمد بن عُبَيْد، قال: حدَّثنا محمد بن ثور، عن معمَر، عن قَتادة في قوله جلّ وعزّ: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ﴾، قال: يشبه ثمرَ الدنيا، غيرَ أنَّ ثمر الجنَّة أَطيب.

قال معْمَر: وقال الحسن: يشبه بعضُه بعضاً، ليس فيه مرذول.

وقال بعض اللُّغويِّين: هذا كما يقول الرَّجُل للرَّجُل: قد اشتبهت عليَّ أَثوابُك، فما أدري ما آخذ منها؟ أي كلّها خيار فلا أَقف على أفضلها، فأُفضِّله منها وآخذه، قال الشَّاعر:

مَنْ تَلْقَ منهُمْ تَقُلْ لاقيتُ سَيِّدهُمْ　　مِثْلَ النُّجومِ الَّتي يَسْرِي بها السَّارِي

أَي كلّهم سادة يتشابهون في الفضائل.

وروي عن الضحاك انه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ﴾ إذا رأوه قالوا: هو الاول في النظر واللون وإذا طعموا وجدوا له طعماً غير طعم الاول وقوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ معناه جيئوا به وليس معناه أعطوه وقال قوم: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ﴾ أي يشبه بعضه

بعضاً إلا في المنظر والطعم أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للآخر في نحوه ذكره الاخفش وهذا كقول القائل: وقد جيء بأثواب أو أشياء رآها فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل فقال: ما أدري ما أختار منها كلها عندي فاضل.

وقال قتادة معناه يشبه ثمار الدنيا غير انها أطيب وقال ابن زيد والاشجعي: إن التشابه في الاسماء دون الالوان والطعوم فلا يشبه ثمار الجنة شيء من ثمار الدنيا في لون ولا طعم واولى هذه الاقوال أن يكون المراد به متشابهاً في اللون والمنظر على ان الطعم مختلف لما قدمناه [1].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

س - ما معنىٰ ﴿الامانة﴾ في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. وكيف كان هذا العرض؟

ج - وفيه عدة اقوال: قال بعض المفسرين: المعنى لو كانت الأَمانَةُ يجوز أَن تُعرض على السّموات والأَرض والجبال لكانت تأْبى تَحمُّلَهَا، ولكنَّها موات لا تَعْقِلْ، والأَمانَةُ لا تُعْرَض على ما لا

(١)التبيان - الشيخ الطوسي ج ١ ص ١٠٩ .

يعقل. وقالَ هذا من باب المجاز، كقول العرب: شكا إِليَّ بعيري طُولَ السير، معناه لو كان يعقل لشكا، ولكنّه لا يعقل ولا يشكو.

وقال غيرهم: الأَمانة عَرَضها الله على السّموات والأَرض والجبالِ بعقل رَكَّبه فيها، حتَّى عرفت معنى العرْض، وعقلتِ الرَّدّ.

ذهب إِلى هذا سادات أَهلِ العلم وقالوا: مجراه مجرى كلام الذئب، وتسبيح الحصى، وسجود البهائم، للنبيﷺ.

وقد روي عن محمد بن يونس، انه قال: حدَّثنا بِشر بن عمرو الزهرانيّ، قال: حدَّثنا شعبة، عن أَبي بشر، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، فلم تقبلها الملائكة، فلمّا خلق الله تعالى عزّ وجلّ آدمعليه السلام عَرَضَها عليه، فقال: يا ربّ ما هي؟ قال: إن أَحسنتَ جزيتُك، قال: فقد تحمَّلتُها يا ربّ، قال: فما كان بين أَن تحمّلها وبين أَن أُخرج من الجنّة، إلاّ كقَدْر ما بين الظُّهر والعصر.

وأَخبرنا محمد، قال: حدَّثنا قَبِيصة بن عقبة، قال: حدَّثنا الحرّ ابن جرموز، عن ماهان، قال: الأَمانة الطاعة.

وروي عن عبد الله بن محمد، انه قال: حدّثنا يوسف القطّان، قال: خبرنا يعلى بن عبيد، عن جويبر، عن الضَّحّاك، قال: الأَمانة: الفرائض على كلِّ مؤمن: أَلاّ يغشّ مُؤمناً، ولا مُعاهِداً في قليل ولا كثير، فمن انتقصَ شيئاً من الفرائض فقد خان الأَمانة.

كما روي عن أَحمد بن المنصور، انه قال: حدّثنا عبد الله بن

صالح، عن معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: الأمانة: الفرائض، عرضها الله تبارك وتعالى على السّموات والأرض والجبال، إن أدّوها أثابهم، وإن ضيّعوها عذّبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله تبارك وتعالى ألاّ يقوموا به، ثمّ عرضها على آدمعليه السلام فقبلها بما فيها، فهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، أي غِرّاً بأمر الله سبحانه.

وروي عن أحمد بن إبراهيم، انه قال: حدّثنا حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: حُدِّثت أنَّ الله لمّا خلق السّموات والأرضَ والجبالَ، قال: إنّي فارضٌ فريضةً، وخالقٌ جنّةً وناراً، وثواباً لمن أطاعني، وعقاباً لمن عَصاني، فقالت السّموات: خلقتَني وسخّرتَ فِيَّ الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والغيوث، فأنا مسخّرة على ما خلقتني، لا أتحمّل فريضة، ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً. وقالت الأرض: خلقتَني وسخّرتَ فِيَّ الأنهار، وأخرجتَ منّي الثمار، وخلقتَني لما شئت، فأنا لا أتحمّل فريضة، ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً، وقالت الجبال: خلقتَني رواسيَ للأرض، فأنا على ما خلقتَني، لا أتحمّل فريضة، ولا أبغي ثواباً ولا عقاباً. فلمّا خلق آدمعليه السلام عَرضَ ذلك عليه فتحمّله، فقال الله جلّ وعزّ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، ظلمُه نَفْسَه في خطيئته، ﴿جَهُولًا﴾، بعقاب ما تحمّله.

وقال بعض المفسّرين: إنَّ الله جلَّ اسمه لمّا استخلف آدمعليه السلام على ذُرّيته، وسلّطه على جميع ما في الأرض من الأنعام والطّير والوحش، عَهِدَ إليه عَهْداً أمره فيه، ونهاه وحرّم عليه وأحلَّ له، فقبله، ولم يزل عاملاً به حتّى حضرتْه الوفاة، فلمّا حضرتْهُ الوفاة، سأل الله

جلّ وعَلا أن يُعْلِمه مَنْ يَسْتخلِفُ بعدَه، ويُقلِّدُه من الأمر ما قلّده، فأمره أن يَعْرِض ذلك على السّموات والأرض والجِبال بالشّرْط الذي أخذَ عليه من الثّواب إنْ أطاع، ومن الغضب إن عصى، فأبت السّموات والأرض والجِبال ذلك، إشفاقاً من معصية الله جلّ وعلا وغضبِه، ثمّ أمره أن يَعْرِض ذلك على ولده ففعل، فقبله ولدُه، ولم يتهيّبْ منه ما تهيّبت السّموات والأرض والجِبال، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، أي بعاقبة ما تقلّد لربّه جلّ وعَلا، وقال بعد: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾، أي عرضنا ذلك عليه ليتبيّن إيمانُ المؤمن فيتوبَ الله عليه، ونفاقُ المنافق فيعاقبَه الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾.

وقال آخرون: محال أن يكون الله جلّ وعلا عرضَ الأمانة على السّموات في ذاتها، لأنّها ممّا لا يُكلّفُ عملاً، ولا يَعْقل ثواباً، وإنّما المعنى: إنّا عرضنا الأمانة على أهل السّموات وأهل الأرض وأهل الجبال فأبَوْا أن يحملوها، فحُذِف الأهل وقام الذي بعده مقامه، وجعل أبَيْن للسموات والأرض والجبال لقيامها مقام الأهل، كما قالوا: يا خيلَ الله اركبي، وأبشري بالجنّة، أرادوا: يا فرسان خيل الله اركبوا، فأُقيم الخيل مقام الفُرْسان، وصرِف الرُّكوب إليها، والإنسان عندهم الكافر، وهو الذي وصفه الله تعالى بالظّلم والجهل، إذ لم يكفر فيما فَكّرَ فيه مؤمنو أهل السّموات والأرض والجِبال.

وقال آخرون: ما عرض الله جلّ ذكره الأمانةَ على السّموات والأرض قطّ، وإنّما هذا من المجاز على قول العرب: عَرَضْت الحِمْل على البعير فأبى أن يَحمِله، أي وجدت البعير لا يصلح

للحَمْل ولا للعَرْض، فكذلك السّموات والأَرض والجِبال، لا تصلح للأَمانة ولا لعَرْضِها عليها[1].

قال تعالىٰ: ﴿طه ۝١﴾

س - ما المقصود بـ ﴿طه﴾ في قوله عزّ وجل: ﴿طه ۝١﴾ وهل هي آية أم هي جزء من آية؟

ج قال بعض المفسرين ومنهم ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد: معناه: يا رجل، بالسريانية، وقال الكلبي: معناه: يا رجل، بلغة عَكٍّ، وزعم أَنَّ عَكّاً يقولون للرجل: طهَ، وكذلك للرجال والنسوة، وأَنشد:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَه من خَلِيقَتِكُمْ لا قَدَّسَ اللهُ أَخلاقَ المَلاعِينِ

وقيل: إن معنى ﴿طه﴾ يا رجل، عن ابن عباس وسعيد بن جبير، والحسن ومجاهد، والكلبي. غير أن بعضهم يقول هو بلسان الحبشية أو النبطية. وقال الكلبي: هي بلغة عك وأنشد لتميم بن نويرة[2]:

هتفت بطه في القتال فلم يجب فخفت لعمري أن يكون موائلا

وقال الأَخفش: ﴿طه﴾ علامة لانقطاع السورة من السورة الّتي قبلها.

---

(١) الباقلاني ص ٥١٨ .

(٢) تفسير مجمع البيان ج٧ ص٧.

وقال الفرّاء: ﴿طَه﴾ بمنزلة ﴿الم﴾، ابتدأ اللهُ جلّ وعزّ بها مكتفياً بها من جميع حروف المعجم، ليدلّ العرب على أنّه أنزل القرآن على نبيه باللُّغة الّتي يعلمونها، والألَفاظ الّتي يعقلونها، كي لا تكون لهم على الله حجّة.

وعن بصير عن ابي عبد الله وابي جعفرعليهما السلام قالا: كان رسول اللهﷺ إذا صلى قام على اصابع رجليه حتى تورمت فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿طه﴾ بلغة طي يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى(١).

وعد الكوفيون «طه وحم» آية، لأن ﴿طه﴾ مشاكلة لرؤوس الآي التي بعدها بالألف(٢).

وقال الزجاج: ويجوز أن يكون ﴿طه﴾ أمر من وطىء يطأ على قول من لم يهمز، ثم حذفت الألف، فصار «ط» ثم زيدت الهاء في الوقت. ويجوز أن يكون ﴿طه﴾ جارياً مجرى القسم، فيكون ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ جواب القسم. وقوله. ﴿تذكرة﴾. مفعول له. ﴿لمن يخشى﴾: الجار والمجرور في موضع الصفة لتذكرة. والأولى أن يكون مصدر فعل محذوف ويكون الاستثناء منقطعاً، والتقدير، لكن تذكرة. وكذلك قوله ﴿تنزيلاً﴾ مصدر لفعل محذوف تقديره ونزلناه تنزيلاً، أو نزل تنزيلاً، ويدل عليه قوله ﴿أنزلنا﴾ .

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٥٧ .
(٢) تفسير مجمع البيان ج ٦ ص ٦ .

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

س - ما معنى قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾؟ وما هو تفسير هذه الآية الكريمة؟

ج- قال بعض المفسرين: المشكاة الكُوَّة في لسان الحبَشة. وقال أَبو عُبيد: المِشْكَاة: الكُوَّة لا منفذ لها في كلام العرب، وأنشد:

تـدِيرُ عَـيـنَـيـنِ لـهـا كَـخـلاوَيْـنِ   كـمِثْلِ مِصْباحَينِ في مِشْكَاتَينِ

والمشكاة: هي الكوة في الحائط، يوضع عليها زجاجة، ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة، ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه، وقيل: المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وهو مثل الكوة. والمصباح السراج وقيل: المشكاة القنديل. والمصباح الفتيلة.

وقد روي عن محمد بن الحسين عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن ابيه‌عليه‌السلام في هذه الآية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قال: بدأ بنور نفسه تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ مثل هداه في قلب المؤمن: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ﴾، والمشكاة جوف المؤمن والقنديل قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، قال: الشجرة المؤمن: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، قال: على سواء الجبل لا غربية اي لا شرق لها ولا

شرقية اي لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها وإذا غربت الشمس غربت عليها: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾، يكاد النور الذي جعله الله في قلبه يضيء وإن لم يتكلم ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فريضة على فريضة وسنة على سنة ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ فهذا مثل ضربه الله للمؤمن، قال: فالمؤمن يتقلب في خمسة من النور، مدخله ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور، قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: جعلت فداك يا سيدي انهم يقولون مثل نور الرب ؟ قال: سبحان الله ليس لله مثل قال الله لا تضربوا لله الأمثال[1].

وعن مجاهد ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾، أي ذلك السراج في زجاجة. وفائدة اختصاص الزجاجة بالذكر، أنه أصفى الجواهر. فالمصباح فيه أضوأ ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾، أي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبه الدر في صفائه ونوره ونقائه. وإذا جعلته من الدرء، وهو الدفع، فمعناه: المندفع السريع الوقع في الانقضاض. ويكون ذلك أقوى لضوئه.

أما قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، أي يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة ﴿زيتونة﴾، وأراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون، لأن فيها أنواع المنافع، فإن الزيت يسرج به، وهو إدام، ودهان، ودباغ، ويوقد بحطبه، وثفله، ويغسل برماده الإبريسم، ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى إعصار.

---

(١) تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي ج ٢ ص ١٠٣ .

وقيل: أنه خص الزيتونة، لأن دهنها أصفى وأضوأ.

وقيل: لأنها أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان، ومنبتها منزل الأنبياء. وقيل لأنه بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم، فلذلك سميت مباركة.

أما قوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، أي لا يفيء عليها ظل شرق، ولا غرب، فهي ضاحية للشمس، لا يظلها جبل، ولا شجر، ولا كهف، فزيتها يكون أصفى، عن ابن عباس، والكلبي، وعكرمة، وقتادة. فعلى هذا يكون المعنى: إنها ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا هي غربت، ولا هي غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت، بل هي شرقية غربية، أخذت بحظها من الأمرين. وقيل: معناه أنها ليست سن شجر الدنيا فتكون شرقية أو غربية، عن الحسن. وقيل: معناه أنها ليست في مكان لا تصيبها الشمس، ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل، بل يصيبها الشمس والظل، عن السدي. وقيل: ليست من شجر الشرق، ولا من شجر الغرب، لأن ما اختص بإحدى الجهتين كان أقل زيتاً، وأضعف ضوءاً، لكنها من شجر الشام، وهي ما بين الشرق والغرب، عن ابن زيد. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾، من صفائه، وفرط ضيائه.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، أي قبل أن تصيبه النار، وتشتعل فيه.

واختلف في المشبه والمشبه به في الآية على أقوال:

القول الأول: أنه مثل ضربه الله لنبيه محمدﷺ، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، لا شرقية ولا غربية،

أي لا يهودية، ولا نصرانية، توقد من شجرة مباركة، يعني شجرة النبوة، وهي إبراهيم، يكاد نور محمد يبين للناس، ولو لم يتكلم به، كما أن ذلك الزيت يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار أي تصبه النار، عن كعب، وجماعة من المفسرين.

القول الثاني: إن المشكاة إبراهيم، والزجاجة إسماعيل، والمصباح محمد، كما سمي سراجاً في موضع آخر. من شجرة مباركة: يعني إبراهيم، لأن أكثر الأنبياء من صلبه. لا شرقية ولا غربية أي: لا نصرانية ولا يهودية، لأن النصارى تصلي إلى المشرق، واليهود تصلي إلى المغرب. يكاد زيتها يضيء أي تكاد محاسن محمد تظهر قبل أن يوحى إليه، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾، أي نبي من نسل نبي، عن محمد بن كعب. وقيل: إن المشكاة عبد المطلب، والزجاجة عبد الله، والمصباح هو النبي محمد لا شرقية ولا غربية، بل مكية، لأن مكة وسط الدنيا، عن الضحاك.

كما روي عن الرضا أنه قال: نحن المشكاة فيها، والمصباح محمد يهدي الله لولايتنا من أحب. وفي كتاب التوحيد لأبي جعفر ابن بابويه، رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد، عن أبي جعفر الباقر في قوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ﴾، قال: نور العلم في صدر النبي المصباح في زجاجة، الزجاجة صدر علي، صار علم النبي إلى صدر علي، علّم النبي علياً، يوقد من شجرة مباركة نور العلم، لا شرقية ولا غربية، لا يهودية ولا نصرانية، يكاد زيتها يضيء، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، قال: يكاد العالم من آل محمد يتكلم بالعلم، قبل أن يسأل. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾، أي: إمام مؤيد بنور العلم والحكمة، في إثر إمام من آل محمد، وذلك من لدن آدم إلى

أن تقوم الساعة. فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه، وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم[1].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾

س – ما هو الموقع الإعرابي لقوله تعالى: ﴿الراسخون﴾؟ وما المقصود بالراسخين في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾

ج- اختلف في حكم (الراسخون) على قولين: أحدهما: (الرّاسخون) معطوف بالواو على ﴿الله﴾ جلّ وعزّ، والثاني: هو في موضع نصب على الحال، وإن كان مرفوعاً في اللّفظ؛ والتقدير: وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم قائلين آمنّا به، واحتجُّوا بقول الشّاعر:

الـرِّيـحُ تَـبـكِـي شَـجْـوَهُ   والبَـرْقُ يَـلْـمَـعُ في الـغَـمَـامَـةْ

أراد الرّيح نبكي شجوه، والبرق يبكي أيْضاً لامعاً في الغمامة، واحتجُّوا بما روى عبد الله بن محمد، قال: حدّثنا يحيى بن خلف الجوباريّ، قال: حدّثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح،

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٧ ص ٢٥٠ .

عن مُجاهد، قال: الرّاسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون: آمنّا بالله. وبما رواه أيضاً عبد الله بن محمد، قال: حدّثنا يحيى، قال: حدّثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مُجاهد، عن ابن عباس، أنّهُ قال: أنا ممّن يعلَمُ تأويله.

وقالَ أكثر أهل العلم: الرّاسخون مستأنفون مرفوعون بما عاد من يقولون، لا يدخلون مع الله تبارك وتعالى في العلم، لأنَّ في كتاب الله جلّ وعزّ حروفاً طوى الله تأويلاتِها عن النّاس اختباراً للعباد، ليؤمِن المؤمِنُ بها على غموض تأويلها فيسعَد، ويكفُر بها الكافر فيشقى، من ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ تحت الإتيان تأويل زمان محدود لا يعلمه غير الله عزّ وجلّ، يدلُّ على ذلك أنّهم طالبوا به، وأرادوا علمَه فَمُنِعوا، ولم يجابوا إلى كشفه، فكان من قولهم: ﴿مَتى هَذا الوَعْدُ﴾، ﴿وأيّانَ مُرْسَاهَا﴾، وكانَ من جواب الله عزّ وجلّ: ﴿لا يَعْلَمُهَا إلاّ هُوَ﴾.

وروي عن أبي بصير عن أبي جعفرعليه السلام في قوله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴿٤٩﴾﴾ فقلت له: أنتم هم؟ فقال أبو جعفرعليه السلام: من عسى أن يكونوا ونحن الراسخون في العلم(١).

وقال أبو القاسم الكوفي: روي في قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴿٧﴾﴾: الراسخون في العلم من قرنهم الرسول

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٣٢ ص ١٨٩ .

بالكتاب واخبر انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. وفي اللغة الراسخ هو اللازم الذي لا يزول عن حاله ولن يكون كذلك إلا من طبعه الله على العلم في ابتداء نشوئه كعيسى في وقت ولادته قال ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، فأما من يبقى السنين الكثيرة لا يعلم ثم يطلب العلم فيناله من جهة غيره على قدر وما يجوز أن يناله منه فليس ذلك من الراسخين، يقال رسخت عروق الشجر في الارض ولا يرسخ إلا صغيراً.

وعن علي بن محمد، عن عبد الله بن علي، عن ابراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن بريد بن معاوية، عن احدهماعليهما السلام، في قول الله عزّ وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾، فرسول الله افضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما انزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، واوصياؤه من بعده يعلمونه كله، إلى ان قال: والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه(١).

وعن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن اورمة، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن ابي عبد اللهعليه السلام قال: الراسخون في العلم، أمير المؤمنينعليه السلام والائمة من بعدهعليهم السلام(٢).

---

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة – الحر العاملي ج١ص٣٨٧ .
(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج ٣٢ ص ١٨٤ .

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ألا إن الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهله، ونحن الراسخون في العلم، ونحن منار الهدى، وأعلام التقى، ولنا ضربت الامثال[1].

وروي عن أبي الصباح الكتاني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الانفال، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2].

وفي نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذباً، وبغيا علينا أن رفعناه الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم وادخلنا وأخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى لا بهم[3].

وروى محمد بن يعقوب، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن أيوب بن الحر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله[4].

ويؤيد ذلك ما رواه أيضاً، عن علي بن محمد، عن عبد الله بن علي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن بريد بن معاوية، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ قال: فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم، وقد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من

---

(١) تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ٢٤٧ .
(٢) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج ١ ص ٤١٩ .
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٢ ص٢٩٢ .
(٤) الكافي: ج ١ ص ١٨٦ .

التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله وكيف لا يعلمونه، ومنهم مبدأ العلم وإليهم منتهاه، وهم معدنه وقراره ومأواه. وبيان ذلك ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن عبد الله بن سليمان، عن حمران بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جبرائيلعليه السلام أتى رسول اللهﷺ برمانتين، فأكل رسول اللهﷺ إحداهما، وكسر الأُخرى بنصفين، فأكل نصفاً، وأطعم علياً نصفاً، ثم قال رسول اللهﷺ: يا أخي هل تدري ما هاتان الرمانتان؟ قال: لا، قال: أما الاولى فالنبوة ليس لك فيها نصيب، وأما الأُخرى فالعلم، أنت شريكي فيه، فقلت: أصلحك الله كيف يكون شريكه فيه؟ قال: لم يعلّم الله محمداًﷺ علماً إلا وأمره أن يعلّمه علياًعليه السلام.

ويؤيده ما رواه أيضاً عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عبد الحميد، عن منصور بن يونس، عن ابن اذينة، عن محمد بن مسلم قال: سمعت ابا جعفرعليه السلام يقول: نزل جبرئيلعليه السلام على محمدﷺ برمانتين من الجنة، فلقيه عليعليه السلام فقال له: ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك؟ فقال: أما هذه فالنبوة ليس لك فيها نصيب، وأما هذه فالعلم. ثم فلقها رسول اللهﷺ نصفين فأعطاه نصفها، وأخذ رسول اللهﷺ نصفها ثم قال: أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه، قال: فلم يعلم الله رسول اللهﷺ حرفاً مما علمه الله عز وجل إلا وقد علمه علياً ثم انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره[1].

(١)تفسير كنز الدقائق – الميرزا محمد المشهدي ج ٢ ص ٢١ .

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

س - ما الاشهر الحرم:

ج - هي اربعة ثلاثة منها سرد، وواحد فرد، أما الثلاثة فهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وأما الفرد فهو رجب، وإنما سميت حرماً لأنه يعظم انتهاك المحارم فيها أكثر مما يعظم في غيرها، وكانت العرب تعظمها حتى لو أن رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها، وإنما جعل الله بعض هذه الشهور اعظم حرمة من بعض، لعظيم منزلتها عنده سبحانه، لما علم فيها من المصلحة في الكف عن القتال، ولأنه ربما أدى ذلك إلى ترك الظلم. وكانت العرب لا تستحل فيها القتال إلا حيّان خثعم وطيّىء، وكان الذين ينسأون الشهور أيام الموسم يقولون حرمنا عليكم القتال في هذه الشهور إلا دماء المحلين وهي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . واختلف في كيفية عدها . ولا تكون إلا في الشهور العربية، ويدل على فضل الاعتكاف فيها أيضاً وعدم اختصاص الاعتكاف بشهر رمضان (١).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ١٧ ص ٣٢٨ .

قال تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

س - لماذا قال: ﴿كالذي خاضوا﴾، ولم يقل: «كالذين خاضوا»؟ وما معنى تفسير الآية الكريمة؟

ج - موضع الكاف من قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ نصب أي: وعدكم الله على الكفر به، كما وعد الذين من قبلكم. والكاف في قوله: ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ﴾، و ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾، نصب بأنه صفة لمصدر محذوف، وتقديره استمتعتم استمتاعاً مثل استمتاعهم، وخضتم خوضاً مثل خوضهم، قال جامع العلوم النحوي البصير: كالذي خاضوا تقديره على قياس قول سيبويه كالذي خاضوا فيه، فحذف في، فصار كالذي خاضوا، ثم حذف الهاء، وهو على قول يونس والأخفش: (الذي) مصدرية، والتقدير كالخوض الذي خاضوا فيه، ومثل هذا اختلافهم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾، على قول سيبويه تقديره: يبشر الله به، وعلى قول يونس والأخفش: ذلك تبشير الله عباده(١).

(١) المصدر نفسه ج٤٦ ص٣٢٠ .

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

س - كيف صح نسبة الشراء له سبحانه وهو القائل: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وما النكتة في حصر الشراء للأنفس والاموال. وما هو سبب نزولها؟

ج - أما قوله: ﴿اشترى﴾، فلم يرد على حقيقته، وإنما هو من باب الالتزام والوعد منه لعباده بأن من يقم بما هو مطلوب منه من واجب بدني كالصلاة والصوم وما شابههما من الواجبات البدنية، ومن يقم بما هو مطلوب منه من واجب مالي كالحج والديون للناس والكفارات والحقوق من خمس وزكاة فله جزاءُ الجنة وإنما عبر بالشراء مبالغة في عدم الرجوع والالتزام وآخر الآية يدل على ذلك بالصراحة وهو ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴿١١٢﴾﴾، والخلاصة أنه أراد من الشراء الالتزام والعهد على نفسه. ومن الانفس الواجبات البدنية، ومن الاموال الواجبات المالية، والواجبات إما مالية وإما بدنية ولا ثالث لهما. ونزلت في الائمة عليهم السلام والدليل على ان ذلك فيهم خاصة حين مدحهم وحلاهم ووصفهم بصفة لا تجوز في غيرهم فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فالآمرون بالمعروف هم الذين يعرفون المعروف كله صغيره وكبيره ودقيقه وجليله والناهون عن المنكر هم الذين يعرفون المنكر كله صغيره وكبيره والحافظون لحدود الله هم الذين يعرفون حدود الله صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها ولا يجوز ان يكون بهذه الصفة غير الائمة(ع).

ومما روي من اخبار عن الائمة(ع) قيل لقي الزهري علي بن الحسين(ع) في طريق الحج فقال له يا علي ابن الحسين تركت الجهاد وصعوبته واقبلت على الحج ولينته ان الله يقول: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفرز العظيم﴾ قال له علي بن الحسين(ع) انهم الأئمة فـــقـــال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾، فقال علي بن الحسين(ع) :إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج[1].

وروي: أنه تاجرهم فأغلى لهم الثمن. وعن الصادق(ع): ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها.

وعن الحسن: أنفساً هو خلقها، وأموالاً هو رزقها.

---

(١) تفسير القمي – علي بن ابراهيم القمي ج ١ ص ٣٠٦ .

وروي: أن الأنصار حين بايعوا رسول الله ﷺ على العقبة قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال ﷺ: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، قال: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال ﷺ: لكم الجنة، قالوا: ربح البيع لا نقيل ولانستقيل [1].

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

س - من هؤلاء الثلاثة. وما هو سبب نزولها فيهم؟ وما المقصود بـ(خلفوا)؟

ج - نزلت هذه الآية بسبب الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع النبي ﷺ لا عن نفاق، لكن عن توان، ثم ندموا، فلما ورد النبي ﷺ جاءوا واعتذروا، فلم يكلمهم النبي ﷺ وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وأهاليهم وجاءت نساؤهم إلى رسول الله ﷺ يعتزلنهم، فقال: لا ولكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة، فخرجوا إلى رؤوس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلمونهم، فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد، فهلا نتهاجر نحن

(١) تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٩٧ .

أيضاً، فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان، وثبتوا على ذلك نيفاً وأربعين يوماً، وقيل سنة يضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه، فقبل الله تعالى حينئذ توبتهم، وانزل فيهم هذه الآية والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن امية وفزارة بن ربيعة، وكلهم من الانصار - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجابر - والتخليف تأخير الشيء عمن مضى، فأما تأخير الشيء عنك في المكان، فليس بتخليف، وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه .

وقال مجاهد: خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبته من المنافقين، كما قال تعالى فيما مضى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴿١٠٦﴾﴾، وقال قتادة خلفوا عن غزوة تبوك كما تخلفوا هم . وبه قال الحسن. وفي قراءة اهل البيت ﷺ (خالفوا) قالوا لانهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب . وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴿١١٨﴾﴾ فالضيق ضد السعة ومنه ضيق الصدر، خلاف اتساعه بالهم الذي يحدث فيه فيشغله عن غيره، وليس كذلك السرور لانه لا يشغل عن ادراك الامور . ومعنى بما رحبت اي بما اتسعت تقول: رحبت رحباً، ومنه مرحباً واهلاً أي رحبت بلادك واهلت، وضيق أنفسهم ههنا بمعنى ضيق صدورهم، بالهم الذي حصل فيها. وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ معناه وعلموا انه لا يعصمهم منه موضع إذا اعتصموا به والتجأوا إليه كأنه قال: لامعتصم من الله إلا به، لجأ يلجأ لجاء والجأه إلى كذا إلجاء إذا صيره إليه بالمنع من خلافه . والتجأ إليه التجاء وتلاجأوا تلاجؤاً.

وقوله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴿١١٨﴾﴾ قيل في معناه ثلاثة اقوال:

الأول – لطف لهم في التوبة، كما يقال في الدعاء: تاب الله عليه .

الثاني – قبل توبتهم ليتمسكوا بها في المستقبل .

الثالث – قبل توبتهم ليرجعوا إلى حال الرضا عنهم .

وقال الحسن: جعل لهم التوبة ليتوبوا بها، والمخرج ليخرجوا به. وقوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ اخبار منه تعالى بأنه يقبل توبة عباده كثيراً ويغفر ذنوبهم إذا رجعوا إليه لرحمته عليهم ورأفته بهم . وكان أبو عمرو يحكي عن عكرمة بن خالد وعلى الثلاثة الذين خلفوا بفتح الخاء والتخفيف وكان لا يأخذ بها . فان قيل: ما معنى التوبة عليهم واللائمة لهم وهم قد خلفوا فهلا عذروا ؟ قيل: ليس المعنى انهم أُمروا بالتخلف أو رضي منهم به بل كقولك لصاحبك: أين خلفت فلاناً؟ فيقول: بموضع كذا ليس يريد انه امره بالتخلف هناك بل لعله ان يكون نهاه وانما يريد انه تخلف هناك [1] .

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

س – على أي شيء كان الناس أمة واحدة وما الذي اختلفوا فيه. وما هو تفسيرها من الناحية الاجتماعية؟

(١) التبيان – الشيخ الطوسي ج ٥ ص ٣١٦ .

ج- إن الناس خلقوا على فطرة الاسلام، ثم اختلفوا في الأديان ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴿١٩﴾﴾، من أنه لا يعاجل العصاة بالعقوبة رفقاً منه بهم، (قضي بينهم) أي فصل فيما فيه يختلفون بأن ينجي المؤمنين ويهلك العصاة، ولكنه أخرهم إلى يوم القيامة تفضلاً منه إليهم وانعاماً منه عليهم. واختلف في أنهم على أي دين كانوا، فقيل: إنهم كانوا على الكفر، فقال الحسن: كانوا كفاراً بين آدم ونوح، وقيل: بعد نوح إلى أن بعث الله إبراهيم والنبيين بعده، وقيل: قبل مبعث كل نبي، وهذا غير صحيح . فإن قيل: كيف يجوز أن يكون الناس كلهم كفاراً ولا يجوز أن يخلو الأرض من حجة ؟ قلنا: يجوز أن يكون الحق هناك في واحد أو جماعة قليلة لم يمكنهم إظهار الدين خوفاً وتقية فلم يعتد بهم، وقال آخرون: إنهم كانوا على الحق، فقال ابن عباس كانوا بين آدم ونوح على شريعة من الحق فاختلفوا بعد ذلك، وقيل: هم أهل سفينة نوح عليه السلام، فالتقدير حينئذ كانوا امة واحدة فاختلفوا وبعث الله النبيين، وقال مجاهد: المراد به آدم كان على الحق إماماً لذريته فبعث الله النبيين في ولده، وروى أصحابنا عن الباقر عليه السلام أنه قال: إنهم كانوا قبل نوح امة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضالين فبعث الله النبيين، وعلى هذا فالمعنى أنهم كانوا متعبدين بما في عقولهم غير مهتدين إلى نبوة ولا شريعة . ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم أن مصالحهم فيها مبشرين لمن أطاعهم بالجنة ومنذرين لمن عصاهم بالنار وأنزل معهم الكتاب أي مع بعضهم ليحكم أي الرب تعالى، أو الكتاب إلا الذين اوتوه أي اعطوا العلم بالكتاب من بعد ما جاءتهم البينات أي الحجج

الواضحة، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: معجزات محمدﷺ بغياً أي ظلماً وحسداً لما اختلفوا فيه أي للحق الذي اختلف فيه من اختلف بإذنه أي بعلمه أو بلطفه . منهم من كلم الله وهو موسى عليه السلام أو موسى ومحمدﷺ ورفع بعضهم درجات وقيل: ان لفظة ﴿كان﴾ يحتمل أن تكون للثبوت دون المضي، والمراد الاخبار عن الناس انهم امة واحدة في خلوهم عن الشرائع وجهلهم بالحقائق لولا أن الله منَّ عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب تفضلاً منه.

اما تفسير الآية من الناحية الاجتماعية فقيل: ان المراد من وحدة الامة ليس وحدة العقيدة والعمل بل المراد أن الله خلق الانسان بطبيعته وفطرته امة واحدة مدنياً بالطبع يرتبط بعضه ببعض في المعاش، ويحتاج في توفية جميع ما يحتاج إليه إلى مشاركة غيره ومعاضدة افراد بني نوعه، لا يستغني بعضه عن بعض، وكانوا مع ذلك ينحون في أعمالهم نحو المنافع التي يرونها لازمة لقوام معيشتهم، ولم يمنحوا من قوة الالهام ما يعرف كلاً منهم وجه المصلحة في حفظ حق غيره ليتوفر المنفعة بذلك لنفسه، فكان لابد لهم من الاختلاف في امور معاشهم، فأرسل الله من رحمته بهم الرسل مبشرين ومنذرين، يبشرونهم بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة إذا لزم كل واحد منهم ما حدد له واكتفى بما له من الحق ولم يعتد على غيره، وينذرونهم بخيبة الامل وحبوط العمل وعذاب الآخرة إذا اتبعوا شهواتهم الحاضرة ولم ينظروا العاقبة (١).

---

(١) مجمع البيان ج١ ص٢١٦ - ٢١٨، وبحار الأنوار - العلامة المجلسي ج١١ ص٩.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾

س - يظهر من هذه الآية أن الله لا يشاء أن يكون أهل الارض كلهم مؤمنين؟

ج - معنى الآية الاخبار عن قدرته سبحانه، وانه يقدر على أن يكره الخلق على الايمان كما قال في سورة الشعراء: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾، ولذلك قال بعد ذلك في سورة يونس عليه السلام: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾، ولقد أراد بهذه الآية تسلية نبيه وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على إيمانهم.

فقد روي عن أحمد بن علي الانصاري، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سأل المأمون يوماً علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله ما معنى قول الله عزوجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿١٠٠﴾﴾ فقال الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الاسلام كثر عددنا وقوينا على عدونا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لألقى الله عزّ وجل ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً، وما أنا من

المتكلفين، فأنزل الله تبارك وتعالى: يا محمد ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴿٩٩﴾﴾، على سبيل الالجاء والاضطرار في الدنيا كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً، لكني اريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ وأما قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿١٠٠﴾﴾، فليس ذلك على سبيل تحريم الايمان عليها ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله، وإذنه أمره لها بالايمان ما كانت مكلفة متعبدة، وإلجاؤه إياها إلى الايمان عند زوال التكليف والتعبد عنها.

فقال المأمون: فرجت عني يا أبا الحسن فرج الله عنك. وحاصل كلامه عليه السلام في الآيتين: لو شاء ربك أن يؤمن الناس كلهم بالإلجاء والتكوين لآمنوا، ولكنه لم يشأ ذلك فلم يؤمن كلهم، فلا يطمع أصحابك أن تكره الناس على الايمان حتى يكونوا مؤمنين، بل الله تعالى شاء أن يؤمن الناس بالاختيار حتى يستحقوا الكرامة والزلفى ودوام الخلود في جنة الخلد، وعلى هذا فما كان لنفس ان تؤمن الا بأمره المناسب لاختيارهم. وأمره هو ما يجمع أسباب ايمان النفوس من جهته تعالى من تشريع الشرائع ونصب الاعلام والادلة واعطاء العقل وارسال الرسل وانزال الكتب والدعوة إليه والوعد والوعيد والانذار والتبشير وغير ذلك من الالطاف والهدايات، فما لم يعد الله هذه الامور ما كان لنفس أن تؤمن لان الايمان مسبب عنها ووجوده بدون السبب ممتنع، وما أبلغ كلمة الاذن هنا لأن الإذن هو تخلية الشيء في طريق التحقق والوجود باتمام سببه إلا أن الامام عليه السلام فسره

بالامر لرعاية فهم المخاطب، ولا يخفى أن المراد به التكويني لا التشريعي المقابل للنهي لأن الايمان لا يتوقف عليه وان أمر به تأكيداً في بعض الآيات بل على الامر التكويني النازل من عنده تعالى المساوق للإذن التكويني، ثم ان الرجس المذكور في الآية هو الشك وعدم الايمان وهو مستند إلى عدم السبب التام من ناحية الانسان من جهة عدم تعقله في الادلة والآيات فلا يتحقق الايمان، لكن نقصان السبب ليس من عند الله بل من عند النفس فلذا قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٠﴾[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

س – كيف صح نسبة الاغواء إليه سبحانه لأنه فعل الكفر أو الدعاء إليه. وما هو تفسيرها؟ وفيمن نزلت؟

ج ـ إن معنى قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾، أي يريد أن يخيبكم من رحمته، بأن يحرمكم ثوابه، ويعاقبكم لكفركم به، فلا ينفعكم نصحي أن أردت أن أنصح لكم، وقد سمى الله سبحانه وتعالى العقاب غياً في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ أي عقاباً.

وقوله تعالى عن نوح ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ

(١) التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٣٤١ .

إن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وانما يكون من هذا لو كان قوله نصحي مؤخراً بعد الشرطين أو لازماً ان يقدر كذلك وكلا الامرين منتف أما الاول فظاهر واما الثاني فلان لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم جملة تامة اما على مذهب الكوفيين فمن شرط مؤخر وجزاء مقدم واما على مذهب البصريين فالمقدم دليل الجزاء والمدلول عليه محذوف فيقدر بعد شرطه فلم يقع الشرط الثاني معترضاً لان المراد بالمعترض ما اعترض بين الشرط وجوابه وهنا ليس كذلك فان على مذهب الكوفيين لا حذف والجواب مقدم وعلى قول البصريين الحذف بين الشرطين وهنا فائدة وهي انه لم عدل عن ان نصحت إلى اردت ان انصح وكانه والله أعلم أدب مع الله تعالى حيث اراد الاغواء وقد احسن الزمخشري فلم يأت بلفظ الاعتراض في الآية بل سماه مرادفاً هو صحيح وقال ان قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله له نصحي وجعل ابن مالك تقدير الآية ان اردت انصح لكم مراداً ذلك منكم لا ينفعكم نصحي وهو يجعله من باب الاعتراض. أي من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية. وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة(١).

وقد روي عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال: وقال نوح عليه السلام: ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم قال: الامر إلى الله يهدي من يشاء. وفي تفسير العياشي عن ابن ابي نصر البزنطي عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال الله في نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ

(١) قصص الأنبياء - ابن كثير ج١ ص٩٣ .

أن يُغْوِيَكُمْ﴾ قال: الامر إلى الله يهدي ويضل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال: حدثني ابي عن حماد بن عيسى عن ابراهيم بن عمر اليماني عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عن ابيه علي بن الحسين عليه السلام انه قال، وقد ذكر عبد الله بن عباس: واما قوله: ولا ينفعكم نصحي الآية نزلت في ابيه وفي تفسير العياشي نحوه الا ان فيه بدل أبيه: العباس صريحاً [1].

قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾

س - هلا قال فيوردهم النار ليتناسب مع قوله ﴿يقدم قومه﴾. وما معنى قوله تعالى ﴿فأوردهم﴾

ج - إنما أتى بلفظ الماضي إيذاناً بأنه واقع وحاصل لا محالة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾، إلى غير ذلك. وهذا إخبار من الله تعالى ان فرعون يوم القيامة يقدم قومه، ومعناه يمشي على قدمه يقودهم إلى النار، ولو قال يسبق، لجاز ان يوجده الله عز وجل قبلهم في النار. والقيامة هو وقت قيام الناس من قبورهم للجزاء والحساب باعمالهم. وقوله فاوردهم النار معناه اوجب ورودهم إلى النار، والايراد ايجاب الورود إلى الماء أو ما يقوم مقامه.

(١) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج ٢ ص ٣٤٩ .

وقيل: انما لم يقل يوردهم النار، لانه ذكر ليوم القيامة انه يقدمهم فيه، يدل على انه فعل مستقبل فأجرى الماضي مجرى المستقبل لدلالة الكلام عليه. وقوله وبئس الورد المورود قال أبو علي: انه مجاز، والمعنى بئس وارد النار. وقال البلخي: بل هو حقيقة، لانه تعالى وصف النار بانها بئس الورد المورود، وهي كذلك. والورد الماء الذي ترده الابل، والورد الابل التي ترد الماء،

والورد ما يجعله عادة لقراءة أو تلاوة للقرآن. والورد ورد الحمى، كل ذلك بكسر الواو، وحكي عن ابن عباس ان الورد الدخول. والمعنى ان ما وردوه من النار هو المورود بئس الورد لمن ورده. ويقال إنهم إذا وردوه عطاشاً فيردون على الحميم والنيران ولا يزيدون بذلك إلا عذاباً وعطشاً. وانما وصف بأنه بئس الورد، وان كان عدلاً حسناً لما فيه من الشدة مجازاً[1].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾

س - لم اجريت مجرى العقلاء فقال رأيتهم، ولم يجرها مجرى غير العقلاء فيقول رأيتها، لأن الكواكب والشمس والقمر جميعها لا تعقل؟

ج - لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلام العرب

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٦ ص ٥٩ .

وهو ان يشابه الشيء الآخر من بعض الوجوه فيعطى بعض أحكامه. وكذا قال الخليل وسيبويه والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته وأنشد ابن جرير مستدلاً على جواز هذا قول الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأيام[1]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾

س - ما معنى الهم وكيف صح من يوسف (ع) أن يهم بالمعصية وهي الزنا بالمحصن ذات الزوج كما هو ظاهر الآية؟

ج - الهم في اللغة له معانٍ منها: العزم على الفعل كما في سورة المائدة كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

وقال الشاعر:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكي حلائله

ومنها خطور الشيء في البال وإن لم يقع العزم عليه قال الله

(١) فتح القدير - الشوكاني ج ٣ ص ٢٢٧ .

تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، وإنما اراد ان الفشل خطر ببالهما ولو كان لهما في هذا المكان عزم لما كان الله وليهما ويشهد لهذا قول كعب بن زهير:

فكم فيهم من سيدٍ متوشح ومن فاعلٍ للخير إن همّ أو عزم

ففرق بين الهم والعزم، وظاهر التفرقة يقتضي اختلاف المعنى، وعليه فنقول المراد بالهم في الآية العزم ولكن يوسف عليه السلام همّ بغير ما همّت به فإنها همت بالمعصية وهم بدفعها عنه ليتخلص منها.

ولنذكر هنا ما أورده الرازي في تفسيره قال: اعلم أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها، وفي هذه الآية مسائل.

المسألة الاولى في أنه عليه السلام هل صدر عنه ذنب أم لا ؟ وفي هذه المسألة قولان: أحدهما أن يوسف عليه السلام هم بالفاحشة، قال الواحدي في كتاب البسيط: قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع إلى روايتهم: هم يوسف عليه السلام أيضاً بهذه المرأة هماً صحيحاً، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: حل الهميان (شداد السراويل أو التكة) وجلس منها مجلس الخائن، وعنه أيضاً أنها استلقت له وقعد هو بين رجليها ينزع ثيابه.

ثم إن الواحدي طول في كلمات عديمة الفائدة في هذا الباب، وما ذكر آية يحتج بها، أو حديثاً صحيحاً يعول عليه في

تصحيح هذه المقالة، ولما أمعن في الكلمات العارية عن الفائدة روى أن يوسف عليه السلام لما قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴿٥٢﴾﴾، قال له جبرئيل: عليه السلام ولا حين هممت يا يوسف؟ فقال يوسف عليه السلام عند ذلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴿٥٣﴾﴾، ثم قال: والذين أثبتوا هذا العمل ليوسف عليه السلام كانوا أعرف بحقوق الانبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا لهم عنه ! فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب[1].

والقول الثاني أن يوسف عليه السلام كان بريئاً من العمل الباطل والهم المحرم، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب.

واعلم أن الدلائل الدالة على وجوب عصمة الانبياء عليهم السلام كثيرة منها:

الحجة الاولى: إن الزنا من منكرات الكبائر، والخيانة من معرض الامانة من منكرات الذنوب، وأيضاً مقابلة الاحسان العظيم الدائم بالاساءة الموجبة للفضيحة الباقية والعار الشديد من منكرات الذنوب، وأيضاً الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقي مكفي المؤونة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الاساءة إلى ذلك المنعم من منكرات الاعمال . إذا ثبت هذا فنقول: إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع، ومثل هذه

(١) تنزيه الانبياء ص ٤٧ .

المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسناده إلى الرسول المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة ؟

الحجة الثانية: أنه تعالى قال في عين هذه الواقعة: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴿٢٤﴾﴾، وذلك يدل على أن ماهية السوء وماهية الفحشاء مصروفة عنه، ولا شك أن المعصية التي تنسبوها إليه أعظم أنواع السوء وأفحش أقسام الفحشاء، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء والفحشاء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء؟! وأيضاً فالآية تدل على قولنا من وجه آخر: وذلك لأنا نقول: هب إن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ولا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثم أنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح عقيب أن يحكي عنه ذلك الذنب العظيم، فإن مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الاعمال ثم يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه، فإن ذلك يستنكر جداً فكذا ههنا.

الحجة الثالثة: أن الانبياء متى صدرت عنهم زلة أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار، ولو أتى بالتوبة لحكى الله عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع، وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية.

الحجة الرابعة: أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد

ببراءة يوسف عليه السلام عن المعصية . واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة: يوسف عليه السلام وتلك المرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود، ورب العالمين شهد ببراءته من الذنب، وإبليس أيضاً أقر ببراءته من المعصية، وإذا كان الامر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب . وفيه شهادة الله أنه كان من المحسنين، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾، أي بعد ما رأوا آيات تدل على براءته ونزاهة ساحته مما نسبت إليه، وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾، فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾،

فثبت بهذه الدلائل أن يوسف عليه السلام بريء عما يقوله هؤلاء الجهال[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾

س - اذاً فما معنى قوله تعالى ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾

ج - لما همّ بدفعها وضربها اراه الله تعالى برهاناً على أنه لو أقدم على ما هم به من ضربها أهلكه أهلها وقتلوه أو أنها تدعي المراودة على القبيح وتقذفه بانه دعاها إليه وضربها لامتناعها منه

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٢١ ص ٣٢٦ - ٣٢٨ .

فأخبر الله سبحانه أنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل والمكروه، فيصير المعنى لولا ان رأى برهان ربه لدفعها عنه بالضرب والإهانة ويكون الجواب محذوفاً وله نظائر منها قوله في سورة النور آية: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، ويدل على أنه عليه السلام ما همّ بالمعصية مواضع من القرآن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾، ومنها قوله حاكياً عنها ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾، وقوله أيضاً: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، وقوله العزيز لما رأى القميص قدّ من دُبُر: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾. فنسب الكيد إليها دونه فهذه الآيات تدل على أنه همّ بغير المعصية، وهو دفعها عنه بالضرب والإهانة ولكنه لم يفعل خوفاً من عاقبة ذلك مع أهلها بل هرب فأخذت بقميصه تجره إليها.

وفي تفسير هذه الآية يقول الرضا عليه السلام: همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهمّ بها كما همت به لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام انه قال: همت بأن تفعل وهم بأن لا يفعل.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾

س - كيف صح ليوسف(ع) وهو نبي مرسل أن يعول في اخراجه من السجن على غير الله ويتخذ سواه وكيلاً في ذلك في قوله: ﴿اذْكُرني عِندَ رَبِّكَ﴾، حتى وردت الرواية ان سبب طول حبسه(ع) إنما كان لأنه عول على غير الله تعالى. ؟ وما هو تفسير ﴿فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾؟

ج - ان سجنه كان قبيحاً ومنكراً، فعليه أن يتوصل إلى إزالته بكل وجه وسبب، فلا يمتنع على هذا أن يضم إلى دعائه الله تعالى ورغبته إليه في خلاصه من السجن أن يقول للغير: اذكرني ونبه على خلاصي، وإنما القبيح أن يقتصر على غيره ويدع التوكل عليه سبحانه، وأما ما ورد من الاحاديث الدالة على أن سبب طول حبسه توكله على غير الله سبحانه فهي غير صحيحة.

وقوله ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني عند سيدك كما قال الشاعر:

وإن يـك رب أذواد فـحـسـبـي أصـابوا من لـقـائك مـا أصـابـوا

وانما سأله ان يذكره عند سيده بخير ويعرفه علمه وما خصه الله تعالى من الفضل والعلم ليكون ذلك سبب خلاصه [1].

واما تفسير ﴿فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ فقيل: معناه فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك، فلم يذكره حتى لبث في السجن،

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٦ ص ١٤٤ .

عن الحسن، ومحمد بن إسحاق، والجبائي، وأبي مسلم.

وعلى هذا فتقديره: فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه.

وقد روي عن النبيﷺ أنه قال: عجبت من أخي يوسفعليه السلام كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق! وروي أنهﷺ قال: لولا كلمته، ما لبث في السجن طول ما لبث! يعني قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾.

وروي عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: جاء جبرائيلعليه السلام فقال: يا يوسف! من جعلك أحسن الناس؟ قال: ربي. قال: فمن حببك إلى أبيك دون اخوانك؟ قال: ربي. قال: فمن ساق اليك السيارة؟ قال: ربي. قال: فمن صرف عنك الحجارة؟ قال: ربي. قال: فمن أنقذك من الجب؟ قال: ربي. قال: فمن صرف عنك كيد النسوة؟ قال: ربي. قال: فإن ربك يقول ما دعاك إلى أن تنزل حاجتك بمخلوق دوني، إلبث في السجن بما قلت بضع سنين.

وعنه عليه السلامفي رواية أُخرى قال: فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبكائه الحيطان، فتأذى ببكائه أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً، ويسكت يوماً. فكان في اليوم الذي يسكت أسوأ حالاً.

والقول في ذلك: إن الاستعانة بالعباد في دفع المضار، والتخلص من المكاره، جائز غير منكر، ولا قبيح، بل ربما يجب ذلك. وكان نبيناﷺيستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والأنصار وغيرهم، ولو كان قبيحاً لم يفعله. فلو صحت هذه الروايات فإنما عوتب يوسفعليه السلام، في ترك عادته الجميلة في الصبر، والتوكل على الله سبحانه، في كل أموره، دون غيره، وقت البلاء. وإنما كان

يكون قبيحاً، لو ترك التوكل على الله سبحانه، واقتصر على غيره. وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله تعالى، والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدائد، وان جاز أيضاً أن يستعان بغيره[1].

قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

س – ما معنى قول يوسف(ع): ﴿من بعد أن نزغ الشيطان﴾ هل هذا يقتضي أن يكون يوسف(ع) قد صدرت منه إطاعة للشيطان ونفذ فيه كيده ونزغه؟

ج – إن النزغ والقبيح كان منهم إليه بواسطة تحريش الشيطان لهم على أخيهم، ويجري ذلك مجرى قول القائل: جرى بيني وبين فلان شر وان كان من أحدهما ولم يشتركا فيه.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾

س – الولاية من قبل الظالم لا تجوز، فكيف صح من يوسف(ع)

(1) تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي ج ٥ ص ٤٠٤ .

ج - إن يوسفعليه السلام رأى أحكام الله معطلة، فالتمس تمكينه من خزائن الارض ليحكم فيها بالعدل ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وما كان ذلك له من غير ولاية، ولمن لا يتمكن من إقامة الحق ان يتسبب إليه ويتوصل إلى فعله.

ومما يروىٰ عن الريان بن الصلت انه قال: دخلت على علي ابن موسى الرضاعليه السلام فقلت له: يابن رسول الله ان الناس يقولون: انك قبلت ولاية العهد مع اظهارك الزهد في الدنيا ؟ فقالعليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم اما علموا ان يوسفعليه السلام كان نبياً ورسولاً، فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾، ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على اكراه واجبار بعد الاشراف على الهلاك على اني ما دخلت في هذا الامر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان.

وعن سعيد بن هبة الله الراوندي في الخرائج والجرائح عن محمد بن زيد الرزامي، عن الرضاعليه السلام أن رجلاً من الخوارج قال له: أخبرني عن دخولك لهذا الطاغية فيما دخلت له وهم عندك كفار، وأنت ابن رسول الله، فما حملك على هذا؟ فقال له أبو الحسنعليه السلام: أرأيتك هؤلاء أكفر عندك أم عزيز مصر وأهل مملكته؟ أليس هؤلاء على حال يزعمون أنهم موحدون، وأولئك لم يوحدوا

الله ولم يعرفوه؟ ويوسف بن يعقوب نبي ابن نبي ابن نبي، فسأل العزيز وهو كافر فقال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، وكان يجلس مجلس الفراعنة، وإنما أنا رجل من ولد رسول الله أجبرني على هذا الامر وأكرهني عليه ما الذي أنكرت ونقمت علي؟ فقال: لا عتب عليك أشهد أنك ابن رسول الله، وأنك صادق[1].

وبالعودة الى تولي يوسف عليه السلام خزائن الأرض قيل: وإنما طلب يوسف عليه السلام الولاية ليتوصل بذلك إلى إمضاء أحكام الله وبسط العدل، ووضع الحقوق مواضعها، ويتمكن من الأمور التي كانت مفوضة إليه من حيث كان نبياً إماماً، ولعلمه أن غيره لا يقوم في ذلك مقامه، وفي ذلك دلالة على جواز تولي القضاء من جهة السلطان الجائر إذا كان فيه تمكن من إقامة الحق وتنفيذ أحكام الدين، وقيل: إن الملك كان يصدر عن رأيه (اي عن رأي يوسف عليه السلام) ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع[2].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾

س – كيف يكون نقص الارض من اطرافها؟

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) – الحر العاملي ج ٧١ ص ٢٠٦ .
(٢) تفسير جوامع الجامع – الشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٢٢٦ .

ج ـ ان المراد نقصد الارض ننقصها من اطرافها بالفتوح على المسلمين فتنتقص من أهل الكفر وتزيد في المسلمين، وذلك من آيات النصرة والغلبة ومثله آية: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته، ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك به من الظفر.

وقيل: يكون المراد من نقص الارض وأطرافها هو انقراض بعض الامم التي تسكنها فإن لكل امة أجلاً ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون . والمعنى: أفلا يرون أن الارض تنقص منها أمة بعد أمة بالانقراض بأمر الله فماذا يمنعه أن يهلكهم أفهم الغالبون إن أرادهم الله سبحانه بضرٍ أو هلاكٍ وانقراض [1].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾

س - كيف صح قوله ﴿ومنه شجر﴾، مع أن الشجر ليس من الماء وما معنى تسيمون؟

ج ـ المراد بقوله: ﴿ومنه شجر﴾: ومن جهة الماء شجر، ومن سقيه وانباته شجر، فحذف المضاف إلى الهاء في منه.

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٤١ ص ٢٩١ .

كما قال زهير:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم

أي أمن ناحية أم أوفى.

ومنه قول أبي ذؤيب:

أمنك البرقَ آرقبُه فهاجا
فبتُّ اخالهُ دهماً خلاجا

أي أمن جهتك.

ثم الآية التي بعدها تفسر وتوضح قوله تعالى: ﴿ومنه شجر﴾. وقوله تعالى ذكره: والذي أنعم عليكم هذه النعم وخلق لكم الانعام والخيل وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم، هو الرب الذي أنزل من السماء ماء، يعني: مطراً لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ومنه شراب أشجاركم وحياة غروسكم ونباتها. أما (فيه تسيمون) يقول: في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تسيمون، يعني ترعون، يقال منه: أسام فلان إبله يسيمها إسامة إذا أرعاها، وسومها أيضا يسومها، وسامت هي إذا رعت، فهي تسوم، وهي إبل سائمة ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في الفلاة وغيرها للرعي سائمة. وقد وجه بعضهم معنى السوم في البيع إلى أنه من هذا، وأنه ذهاب كل واحد من المتبايعين فيما ينبغي له من زيادة الثمن ونقصانه، كما تذهب سرائم المواشي حيث شاءت من مراعيها ومنه قول الاعشى:

ومشى القومُ بالعمادِ إلى المرعى وأعيا المسيمُ أين المساق

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وعن ابن عباس،

قوله: ومنه شجر فيه تسيمون يقول: يرعون فيه أنعامهم وشاءهم[1].

قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾

س - ما الفائدة في قوله: ﴿من فوقهم﴾ مع أن قوله فخر عليهم السقف مغني عن ذكر: من فوقهم ولا يذهب احد إلى ان السقف يخر عليهم من تحتهم؟ ومن هم الذين خرّ عليهم السقف؟

ج - قيل في معنى ﴿من فوقهم﴾ قولان:

الأول - تأكيد للكلام وزيادة إيضاح في البيان كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾، والقلب لا يكون إلاّ في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثيرة وفي كلام العرب أكثر.

الثاني - انهم كانوا تحته، وقد يقول القائل: تهدمت علي المنازل، وان لم يكن تحتها، وأيضا فليعلم انهم لم يكونوا فوق السقوف.

اما من هم الذين خرّ عليهم السقف فقال ابن عباس وزيد بن اسلم: الذين خر عليهم السقف من فوقهم نمرود بن كنعان.

(١) جامع البيان - ابن جرير الطبري ج ٤١ ص ١١٥ .

وقال غيرهما: بختنصر، وقال الزجاج وأبو بكر بن الانباري: المعنى فأتى الله مكرهم من اصله اي عاد ضرر المكر عليهم وبهم. وذكر الاساس مثلاً كما ذكر السقف، مع انه لا سقف ثم ولا أساس، وهذا الذي ذكره يليق بكلام العرب ويشبهه، والمعنى إن الله أتى بنيانهم من القواعد اي قلعه من اصله كقولهم: أتي فلان من مأمنه اي أتاه الهلاك من جهة مأمنه وأتاهم العذاب من جهة الله وهم لا يشعرون، أي لا يعلمون انه من جهة الله نزل بهم العذاب. ثم قال انه تعالى مع ذلك يخزيهم يوم القيامة أي يذلهم بأنواع العذاب ويقول لهم أين شركائي الذين اتخذتموهم آلهة، فعبدتموهم يعني الذين كنتم تشاقون فيهم الله تعالى وتخرجون عن طاعة الله[1].

قال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

س - إن الله سبحانه في مقام ذكر نعمه على عباده، فكيف صح أن ينبه على أن جهة نعمته اتخاذ السكر من ثمرات النخيل والاعناب، وفي الآية ترخيص بالسكر؟

ج - انه سبحان أخبر أنه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم ولا فرق بين قوله هذا وبين قوله ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾، ولا دلالة في الآية على أنه سبحانه رخص

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٦ ص ٣٧٤ .

بالسكر، والآية تقول تتخذون منه سكراً وهي خالية من الرخصة الإلهية.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

س - الاسراء لا يكون إلاّ بالليل فما معنى قوله ﴿ليلاً﴾ والمسجد الاقصى الذي هو الهيكل السليماني كان قد خرب وانمحت آثاره قبل الاسلام بخمسمائة وخمسين سنة، فما معنى إسراء النبي إليه وهو لا وجود له؟ وما هو حديث الإسراء؟

ج - أراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء، وانه أسري به في بعض الليل من مكة إلى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة، وقد دل التنكير في قوله ﴿ليلاً﴾ على البعضية ويمكن أن يكون للتأكيد وزيادة للإيضاح لأنه ليس كل إنسان يفهم أن الاسراء لا يكون إلاّ في الليل، فدفعاً لذلك نبه عليه بقوله ﴿ليلاً﴾. وأما خراب المسجد الاقصى قبل الاسلام فهو غير مانع من احترامه وتقديسه لأن المسجد لا يخرج عن فضيلة المسجدية وشرفها وعنوانها وإن صار خربة وانمحت آثاره، والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته به وكان الاسراء من دار أم هاني أخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد قال جماعة إن الاسراء كان في المنام وهو غلط واضح، إذ لا معجز يكون فيه ولا برهان على أنه اخراج للفظ عن ظاهره، افعجز على الله

ذلك، ولدى بعض الدول الكبرى القمر الاصطناعي الذي يدور الكرة الارضية في خلال ساعتين فكيف بجبار السماوت والأرضين الذين هو على كل شيء قدير.

اما الإسراء فيقال: أسرى يسري وسرى يسري، فهو سارٍ لغتان بمعنى واحد. والاسراء: سير الليل.

قال امرؤ القيس:

سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

وقال النابغة:

اسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد

وقد اخبر الله تعالى عما قالت الملائكة رسله للوط حين رأته كئيباً بسببهم: انا رسل ربك بعثنا الله لإهلاك قومك، فلا تغتم، فانهم لا ينالونك بسوء فأسر باهلك، اي امض ومعك اهلك بالليل[1].

اما حديث الإسراء فقد روي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: جاء جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبراق إلى رسول الله فاخذ واحد باللجام وواحد بالركاب وسوى الآخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق فلطمها جبرئيل عليه السلام ثم قال لها: اسكني يا براق فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله قال: فرقت به ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ومعه جبرئيل عليه السلام يريه الآيات من السماء والارض.

---

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٦ ص ٤٣.

وعنه أيضاً عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فبينا انا في مسيري إذ نادى مناد عن يميني يا محمد فلم اجبه ولم ألتفت إليه ثم ناداني مناد عن يساري يا محمد فلم اجبه ولم ألتفت إليه ثم استقبلتني امرأة كاشفة عن ذراعيها وعليها من كل زينة الدنيا فقالت: يا محمد انظرني حتى اكلمك فلم ألتفت إليها ثم سرت فسمعت صوتاً أفزعني فجاوزت به فنزل بي جبرئيل عليه السلام فقال: صل فصليت فقال: اتدري اين صليت؟ فقلت: لا، فقال: صليت بطيبة وإليها مهاجرتك، ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي: انزل وصل فنزلت وصليت، فقال لي: أتدري اين صليت؟ فقلت لا، فقال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليماً ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي انزل فصل فنزلت وصليت فقال لي: اتدري اين صليت؟ فقلت: لا، قال: صليت في بيت لحم بناحية بيت المقدس، حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا إلى بيت المقدس فربطت البراق بالحلقة التي كانت الانبياء تربط بها فدخلت المسجد ومعي جبرئيل إلى جنبي فوجدنا ابراهيم وموسى وعيسى فيمن شاء الله من انبياء الله قد جمعوا الي واقمت الصلاة ولا اشك إلا وجبرئيل استقدمنا، فلما استووا اخذ جبرئيل عليه السلام بعضدي فقدمني فاممتهم ولا فخر، ثم أتاني الخازن بثلاث اواني، اناء فيه لبن واناء فيه ماء واناء فيه خمر، فسمعت قائلاً يقول: ان اخذ الماء غرق وغرقت امته، وان اخذ الخمر غوى وغوت امته وان اخذ اللبن هدي وهديت امته، فاخذت اللبن فشربت منه فقال جبرئيل: هديت وهديت امتك ثم قال لي: ماذا رأيت في مسيرك ؟ فقلت: ناداني مناد عن يميني فقال لي: أوأجبته ؟ فقلت: لا ولم ألتفت إليه، فقال: ذاك داعي اليهود لو

اجبته لتهودت امتك من بعدك ثم قال ماذا رأيت ؟ فقلت: ناداني مناد عن يساري فقال: أوأجبته ؟ فقلت: لا ولم التفت إليه، فقال: ذاك داعي النصاري لو اجبته لتنصرت امتك من بعدك، ثم قال: ماذا استقبلك ؟ فقلت: لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة، فقالت: يا محمد انظرني حتى اكلمك، فقال لي: أفكلمتها ؟ فقلت: لم اكلمها ،ولم التفت إليها، فقال: تلك الدنيا ولو كلمتها لاختارت امتك الدنيا على الآخرة، ثم سمعت صوتاً افزعني، فقال جبرئيل: أتسمع يا محمد ،قلت: نعم ،قال: هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنم منذ سبعين عاماً فهذا حين استقرت، قالوا: فما ضحك رسول اللهﷺ حتى قبض .

قالﷺ: فصعد جبرئيل وصعدت معه إلى سماء الدنيا وعليها ملك يقال له اسماعيل وهو صاحب الخطفة التي قال الله عزّ وجل: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾، وتحته سبعون الف ملك تحت كل ملك سبعون الف ملك، فقال: يا جبرئيل؈ من هذا معك ؟ فقال: محمدﷺ قال: أوقد بعث ؟ قال: نعم ففتح الباب فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال: مرحباً بالاخ الناصح والنبي الصالح وتلقتني الملائكة حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا كان ضاحكاً مستبشراً حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه كريه المنظر ظاهر الغضب، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا انه لم يضحك ولم ار فيه من الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فإني قد فزعت فقال: يجوز ان تفزع منه، وكلنا نفزع منه هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم

يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على اعداء الله واهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك إلى احد قبلك أو كان ضاحكاً لاحد بعدك لضحك اليك ولكنه لا يضحك، فسلمت عليه فرد علي السلام وبشرني بالجنة، فقلت لجبرئيل وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله مطاع ثم امين: ألا تأمره ان يريني النار؟ فقال له جبرئيل: يا مالك ار محمداً النار، فكشف عنها غطاءها وفتح بابا منها، فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت فارتعدت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت، فقلت له: يا جبرئيل قل له فليرد عليها غطاءها فأمرها، فقال لها: ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه.

ثم مضيت فرأيت رجلاً آدماً جسيماً فقلت: من هذا يا جبرئيل، فقال: هذا ابوك آدم عليه السلام فإذا هو يعرض عليه ذريته فيقول: روح طيب وريح طيبة من جسد طيب ثم تلا رسول الله ﷺ سورة المطففين على رأس سبعة عشر آية: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ إلى آخرها، قال ﷺ فسلمت على ابي آدم وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح والمبعوث في الزمن الصالح. ثم مررت بملك من الملائكة وهو جالس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه وإذا بيده لوح من نور فيه كتاب ينظر فيه ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه كهيئة الحزين فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال هذا ملك الموت دائب في قبض الارواح فقلت: يا جبرئيل أدنني منه حتى اكلمه، فأدناني منه فسلمت عليه، وقال له جبرئيل: هذا محمد نبي الرحمة الذي ارسله الله إلى العباد فرحب بي وحياني بالسلام وقال: ابشر يا محمد فاني ارى الخير كله في امتك فقلت: الحمد لله المنان

ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته علي، فقال جبرئيل: هو اشد الملائكة عملاً فقلت: أكل من مات أو هو ميت فيما بعد هذا تقبض روحه؟ قال: نعم قلت: تراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك؟ فقال: نعم، فقال ملك الموت: ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله لي ومكنني منها إلا كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء وما من دار إلا وأنا اتصفحها كل يوم خمس مرات واقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم لا تبكوا عليه فان لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم احد، فقال رسول الله ﷺ: كفى بالموت طامة يا جبرئيل، فقال جبرئيل: ان ما بعد الموت اطم واطم من الموت .

قال ﷺ: ثم مضيت فإذا انا بقوم بين ايديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث يأكلون الخبيث ويدعون الطيب، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل فقال: هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من امتك يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: ثم رأيت ملكاً من الملائكة جعل الله امره عجباً نصف جسده نار والنصف الآخر ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار وهو ينادي بصوت رفيع يقول: سبحان الذي كف حر هذه النار فلا تذيب الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفىء حر هذه النار اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: من هذا يا جبرئيل ؟ فقال: هذا ملك وكله الله باكناف السماوات واطراف الارضين وهو انصح ملائكة الله تعالى لاهل الارض من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق، وملكان يناديان في السماء احدهما يقول اللهم اعط كل منفق خلفاً والآخر يقول اللهم اعط كل ممسك تلفاً.

ثم مضيت فإذا أنا باقوام لهم مشافر كمشافر الابل يقرض اللحم من جنوبهم ويلقى في افواههم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال هؤلاء الهمازون اللمازون ثم مضيت فإذا انا باقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال: هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء ثم مضيت فإذا انا باقوام تقذف النار في افواههم وتخرج من ادبارهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً، ثم مضيت فإذا انا باقوام يريد أحدهم ان يقوم فلا يقدر من عظم بطنه فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس فإذا هم مثل آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً يقولون ربنا متى تقوم الساعة، قالﷺ: ثم مضيت فإذا انا بنسوان معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال: هؤلاء اللواتي يورثن اموال ازواجهن اولاد غيرهم ثم قال رسول اللهﷺ: اشتد غضب الله على امرأة ادخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم فاطلع على عوراتهم واكل خزائنهم . قال: ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوهم كيف شاء ليس شيء من اطباق اجسادهم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية باصوات مختلفة اصواتهم مرتفعة بالتحميد والبكاء من خشية الله فسألت جبرئيل عنهم، فقال: كما ترى خلقوا ان الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها إلى ما تحتهم خوفاً من الله وخشوعاً فسلمت عليهم فردوا علي إيماءً برؤوسهم لا ينظرون الي من الخشوع، فقال لهم جبرئيل: هذا

محمدﷺ نبي الرحمة ارسله الله إلى العباد رسولاً ونبياً وهو خاتم النبيين وسيدهم أفلا تكلمونه ؟ قال: فلما سمعوا ذلك من جبرئيل اقبلوا علي بالسلام واكرموني وبشروني بالخير لي ولأمتي.

قال: ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها رجلان متشابهان فقلت: من هذان يا جبرئيل ؟ فقال لي: ابناء الخالة يحيى وعيسى بن مريمعليه السلام فسلمت عليهما وسلما علي واستغفرت لهما واستغفرا لي وقالا مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح وإذا فيها من الملائكة مثل ما في السماء الاولى وعليهم الخشوع قد وضع الله وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك إلا يسبح لله ويحمده باصوات مختلفة.

ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل فضل حسنه على سائر الخلق كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم فقلت من هذا يا جبرئيل ؟ فقال: هذا اخوك يوسفعليه السلام فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال: مرحباً بالنبي الصالح والاخ الصالح والمبعوث في الزمن الصالح، وإذا فيها ملائكة عليهم من الخشوع مثل ما وصفت في السماء الاولى والثانية، وقال لهم جبرائيل في امري ما قال للآخرين وصنعوا بي مثل ما صنع الآخرون.

ثم صعدنا إلى السماء الرابعة وإذا فيها رجل، قلت: من هذا يا جبرئيل ؟ قال: هذا ادريس رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة عليهم من الخشوع مثل ما في السماوات، فبشروني بالخير لي ولامتي، ثم رأيت ملكاً جالساً علي سرير تحت يديه سبعون الف ملك تحت كل ملك سبعون الف ملك، فصاح به جبرئيل، فقال: قم فهو قائم إلى يوم القيامة، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا فيها رجل كهل عظيم

العين لم أر كهلاً اعظم منه حوله ثلة من امته فاعجبتني كثرتهم فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ قال: هذا المحبب في قومه هارون بن عمرانعليه السلام فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات.

ثم صعدنا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل آدم طويل عليه سمرة ولولا ان عليه قميصين لنفذ شعره منهما فسمعته يقول تزعم بنو اسرائيل اني اكرم ولد آدم على الله وهذا رجل اكرم على الله مني، فقلت: من هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا اخوك موسى بن عمرانعليه السلام فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات.

ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة إلا قالوا: يا محمد احتجم وأمر امتك بالحجامة، وإذا فيها رجل اشمط الرأس واللحية، جالس على كرسي فقلت: يا جبرئيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله ؟ فقال: هذا ابوك إبراهيم وهذا محلك ومحل من اتقى من امتك، ثم قرأ رسول اللهصلى الله عليه وآله ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ قالصلى الله عليه وآله: فسلمت عليه وسلم علي وقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح والمبعوث في الزمن الصالح وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات، فبشروني بالخير لي ولامتي. قال رسول اللهصلى الله عليه وآله ورأيت في السماء السابعة بحاراً من نور يتلألأ يكاد تلألؤها يخطف بالابصار وفيها بحار مظلمة وبحار ثلج ورعد فلما فزعت ورأيت هولاً سألت جبرئيل فقال: ابشر يا محمد واشكر كرامة ربك واشكر الله بما صنع اليك

قال: فثبتني الله بقوته وعونه حتى كثر قولي لجبرئيل وتعجبي، فقال جبرئيل: يا محمد أتعظم ما ترى؟ إنما هذا خلق من ربك فكيف بالخالق الذي خلق ما ترى، وما لا ترى اعظم من هذا من خلق ربك، ان بين الله وبين خلقه سبعون الف حجاب واقرب الخلق إلى الله انا واسرافيل وبيننا وبينه اربعة حجب: حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من الغمام وحجاب من الماء، قال: ورأيت من العجائب التي خلق الله سبحانه وسخر به على ما اراده ديكاً رجلاه في تخوم الارضين السابعة ورأسه عند العرش وملكاً من ملائكة الله خلقه كما اراد رجلاه في تخوم الارضين السابعة ثم اقبل مصعداً حتى خرج في الهواء إلى السماء السابعة وانتهى فيها مصعداً حتى استقر قرنه إلى قرب العرش وهو يقول: سبحان ربي حيث ما كنت لا تدري اين ربك من عظم شأنه وله جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب فإذا كان في السحر نشر ذلك الديك جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول: سبحان الله الملك القدوس، سبحان الله الكبير المتعال، لا إله إلا الله الحي القيوم، وإذا قال ذلك سبحت ديوك الارض كلها وخفقت باجنحتها واخذت في الصراخ فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكتت ديوك الارض كلها ولذلك الديك زغب اخضر وريش ابيض كاشد بياض ما رأيته قط وله زغب اخضر ايضاً تحت ريشه الابيض كاشد خضرة ما رأيتها. ثم قالﷺ مضيت مع جبرئيل فدخلت البيت المعمور فصليت فيه ركعتين ومعي اناس من اصحابي عليهم ثياب جدد وآخرون عليهم ثياب خلقان فدخل اصحاب الجدد وحبس اصحاب الخلقان ثم خرجت فانقاد لي نهران نهر يسمى الكوثر، ونهر يسمى الرحمة فشربت من

الكوثر واغتسلت من الرحمة ثم انقادا لي جميعاً حتى دخلت الجنة فإذا على حافتيها بيوتي وبيوت ازواجي وإذا ترابها كالمسك فإذا جارية تنغمس في انهار الجنة فقلت: لمن انت يا جارية؟ فقالت لزيد ابن حارثة فبشرته بها حين اصبحت، وإذا بطيرها كالبخت وإذا رمانها مثل الدلاء العظام، وإذا شجرة لو ارسل طائر في اصلها ما دارها تسعمائة سنة، وليس في الجنة منزل إلا وفيها فرع منها فقلت: ما هذه يا جبرئيل؟ فقال: هذه شجرة طوبى، قال الله: طوبى لهم وحسن مآب، قال رسول الله ﷺ: فلما دخلت الجنة رجعت إلي نفسي فسألت جبرئيل عن تلك البحار وهولها واعاجيبها قال: هي سرادقات الحجب التي احتجب الله بها ولولا تلك الحجب لهتك نور العرش كل شيء فيه، وانتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا الورقة منها تظل به امة من الامم فكنت منها كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كقاب قوسين أو ادنى﴾ فناداني ﴿آمن الرسول بما انزل إليه من ربه﴾ فقال رسول الله ﷺ: يا رب اعطيت انبيائك فضائل فاعطني، فقال الله: قد اعطيتك فيما اعطيتك كلمتين من تحت عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ منك إلا اليك، قال: وعلمتني الملائكة قولاً اقوله إذا اصبحت وامسيت: اللهم ان ظلمي اصبح مستجيراً بعفوك وذنبي اصبح مستجيراً بمغفرتك وذلي اصبح مستجيراً بعزك وفقري اصبح مستجيراً بغناك ووجهي الفاني البالي اصبح مستجيراً بوجهك الدائم الباقي الذي لا يفنى، ثم سمعت الاذان فإذا ملك يؤذن لم ير في السماء قبل تلك الليلة فقال: الله اكبر الله اكبر فقال الله صدق عبدي انا اكبر فقال: اشهد ان لا إله إلا الله اشهد ان لا إله إلا الله فقال الله: صدق عبدي انا الله لا إله غيري، فقال: اشهد ان محمداً

رسول الله اشهد ان محمداً رسول الله، فقال الله صدق عبدي ان محمداً عبدي ورسولي انا بعثته وانتجبته، فقال: حي على الصلاة حي على الصلاة فقال: صدق عبدي ودعا إلى فريضتي فمن مشى إليها راغباً فيها محتسباً كانت له كفارة لما مضى من ذنوبه، فقال: حي على الفلاح حي على الفلاح فقال الله: هي الصلاح والنجاح والفلاح، ثم اممت الملائكة في السماء كما اممت الانبياء في بيت المقدس، قالﷺ ثم غشيتني صبابة فخررت ساجداً فناداني ربي: اني قد فرضت على كل نبي كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى امتك فقم بها انت في امتك، فقال رسول اللهﷺ: فانحدرت حتى مررت على إبراهيمعليه السلام فلم يسألني عن شيء حتى انتهيت إلى موسىعليه السلام، فقال: ما صنعت يا محمد؟ فقلت: قال ربي فرضت على كل نبي كان قبلك خمسين صلاة وفرضتها عليك وعلى امتك، فقال موسى: يا محمد ان امتك آخر الامم واضعفها وان ربك لا يرد عليك شيئاً وان امتك لا تستطيع ان تقوم بها فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لامتك، فرجعت إلى ربي حتى انتهيت إلى سدرة المنتهى فخررت ساجداً ثم قلت: فرضت علي وعلى امتي خمسين صلاة ولا اطيق ذلك ولا امتي فخفف عني فوضع عني عشرة فرجعت إلى موسىعليه السلام فاخبرته، فقال: ارجع لا تطيق فرجعت إلى ربي فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فاخبرته، فقال: ارجع وفي كل رجعة ارجع إليه أخر ساجداً حتى رجع إلى عشر صلوات فرجعت إلى موسى فاخبرته، فقال: لا تطيق فرجعت إلى ربي فوضع عني خمساً فرجعت إلى موسى فاخبرته، فقال: لا تطيق، فقلت: قد استحييت من ربي ولكن أصبر عليها فناداني مناد كما صبرت عليها فهذه

الخمس بخمسين كل صلاة بعشر، من همّ من امتك بحسنة يعملها كتبت له عشرة وان لم يعمل كتبت واحدة ومن همّ من امتك بسيئة فعملها كتبت عليه واحدة وان لم يعملها لم اكتب عليه شيئاً فقال الصادق عليه السلام: جزى الله موسى عن هذه الامة خيراً وهذا تفسير قول الله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾

س - ما وجه نصب ذرية؟

ج - هي منصوبة على الاختصاص أي اخص ذرية من حملنا مع نوح. وقيل: نصب ﴿ذرية﴾ على النداء، وهو خطاب لجميع الخلق، لان الخلق كله من نسل نوح من بنيه الثلاثة: حام: وهو أبو السودان، ويافث: وهو أبو البيضان: الروم والترك والصقالبة وغيرهم، وسام: وهو أبو العرب واليهود. وتقديره يا ذرية من حملنا، ووزن ﴿ذرية﴾ فعلية، من الذر، ويجوز ان يكون (فعولة) من الذر واصله (ذروية)، فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء، قال أبو علي النحوي: ويجوز ان يكون نصباً على أنه مفعول الاتخاذ لانه فعل يتعدى إلى مفعولين كقوله: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾، وقال: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ وعلى هذا يكون مفعولاً ثانياً (٢).

(١) تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي ج ٢ ص ٣-٩ .
(٢) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٦ ص ٤٤٤ .



س - لماذا قال هنا: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ وفي سورة فصلت قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾، وفي سورة الجاثية قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)﴾، فما وجه الاختلاف في هذه الالفاظ ولمن هو هذا الخطاب في الآية الاولى؟

ج - أما قوله: ﴿أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، أي فلها أسأتم بدليل قوله: ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، وأما قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾، أي من عمل صالحاً فلنفسه نفعه، ومن أساء فعليها ضره.

وقيل: وإن أسأتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضاً، لأن مضرة الإساءة عائدة إليها، وإنما قال: ﴿فلها﴾، على وجه التقابل، لأنه في مقابلة قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، كما يقال أحسن إلى نفسه، ليقابل أساء إلى نفسه، ولأن معنى قولك أنت منتهى الإساءة، وأنت المختص بالإساءة، متقارب. فلذلك وضع اللام موضع إلى.

وقيل: هي بمعنى فعليها، أي إن أسأتم فعلى أنفسكم، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾، أي: عليهم اللعنة. وقيل: معناه فلها الجزاء والعقاب، وإذا أمكن حمل الكلام على الظاهر، فالأولى أن لا يعدل عنه وما في الخبر مبني على الاكتفاء ببعض الكلام وهو شائع.

وهذا الخطاب لبني إسرائيل، ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام. ويجوز أن يكون خطاباً لأمة نبينا محمدﷺ، فيكون اعتراضاً بين القصة، كما يفعل الخطيب والواعظ، يحكي شيئاً ثم يعظ، ثم يعود إلى الحكاية. فكأنه لما بين أن بني إسرائيل لما علوا وبغوا في الأرض، سلط عليهم قوماً، ثم لما تابوا قبل توبتهم، وأظفرهم على عدوهم، خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع إحسانه إليه، ومن أساء عاد ضرره إليه ترغيباً وترهيباً[1].

وفي الجوامع عن أمير المؤمنينعليه السلام: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلا الآية قيل: وإنما ذكر باللام ازدواجاً.

وفي العيون عن الرضاعليه السلام: وإن أسأتم فلها رب يغفر فإذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوؤا وجوهكم بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولاً عليه وقرئ ليسوؤا على التوحيد أي الوعد أو البعث[2].

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

س - ربما يقال ان الامتناع عن الجواب إنما هو لفقد العلم فلماذا عدل الله عن الجواب في هذه الآية؟

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٦ ص ٢٢٢ .
(٢) التفسير الصافي - الفيض الكاشاني ج ٣ ص ١٧٨ .

ج ـ إنما عدل الله تعالى عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين وأن الجواب لو صدر منه إليهم لازدادوا فساداً وعناداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لأنا قد نعلم في كثير من الاحوال فيمن يسألنا عن الشيء أن العدول عن جوابه أولى وأصلح لأن الأسئلة السفهية جوابها السكوت وقد قيل: إن اليهود قالت لكفار قريش: سلوا محمداً عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي وإن لم يجبكم فهو نبي فإنا نجد في كتبنا ذاك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون دلالة على صدقه وتكذيباً لليهود الرادين عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾

س ـ ما هي هذه الآيات التسع؟ وهل ان هناك فرقاً بين الآيات التي تحدثت عنها التوراة وبين الآيات التي تحدث عنها القرآن الكريم؟

ج ـ اختلف في هذه الآيات التسع في قوله تعالى فقيل: انها تسع آيات من الاحكام، روى عبد الله بن سلمة عن عنوان بن عسال ان يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فأتى رسول الله ﷺ فسأله عن هذه الآية فقال: هو ان لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق،

ولا تمشوا بالبريء الى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا،ولا تقذفوا المحصنات، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة يا يهود ان لا تعتدوا في السبت، فقبل يده وقال: اشهد انك نبي الله[1].

وذكر ان من الآيات على ما يقصه القرآن أكثر من تسع غير أن الآيات التى أتى بها لدعوة فرعون فيما يذكره القرآن تسع وهي: العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفدع والدم والسنون ونقص من الثمرات فالظاهر أنها هي المرادة بالآيات التسع المذكورة في الآية وخاصة مع ما فيها من كلام موسىعليه السلام لفرعون: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر، وأما غير هذه الآيات كالبحر والحجر وإحياء المقتول بالبقرة وإحياء من أخذته الصاعقة من قومه ونتف الجبل فوقهم وغير ذلك فهي خارجة عن هذه التسع المذكورة في الآية.

ولا ينافي ذلك كون الآيات إنما ظهرت تدريجاً فإن هذه المحاورة مستخرجة من مجموع ما تخاصم به موسى وفرعون طول دعوته . فلا عبرة بما ذكره بعض المفسرين مخالفاً لما عددناه لعدم شاهد عليه وفي التوراة أن التسع هي العصا والدم والضفادع والقمل وموت البهائم وبرد كنار أنزل مع نار مضطرمة أهلكت ما مرت به من نبات وحيوان والجراد والظلمة وموت عم كبار الآدميين وجميع

(١) تفسير نور الثقلين – الشيخ الحويزي ج ٣ ص ٢٣٠ .

الحيوانات . ولعل مخالفة التوراة لظاهر القرآن في الآيات التسع هي الموجبة لترك تفصيل الآيات التسع في الآية ليستقيم الامر بالسؤال من اليهود لانهم مع صريح المخالفة لم يكونوا ليصدقوا القرآن بل كانوا يبادرون إلى التكذيب قبل التصديق [1].

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾

س - ما هو الكهف؟ وما هو الرقيم؟

ج - اختلف في معنى الرقيم، فقيل: أنه اسم الوادي الذي كان فيه الكهف، عن ابن عباس، والضحاك.

وقيل: الكهف غار في الجبل. والرقيم: الجبل نفسه، عن الحسن.

وقيل: الرقيم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف، عن كعب، والسدي. وقيل: هو لوح من حجارة، كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف، عن سعيد بن جبير، واختاره البلخي، والجبائي.

وقيل: جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك، لأنه من عجائب الأمور، وقيل: الرقيم كتاب، ولذلك الكتاب خبر، فلم يخبر الله

---

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٣١ ص ٢١٨ .

تعالى عما فيه، عن ابن زيد. وقيل: إن أصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار، فانسد عليهم، فقالوا:؟ ليدع الله تعالى كل واحد منا بعمله، حتى يفرج الله عنا. ففعلوا، فنجاهم الله [١].

وقال الفراء: الرقيم لوح رصاص كتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصصهم وممَّ فروا، وسأل ابن عباس كعباً عن الرقيم فقال: هي القرية التي خرجوا منها، وقيل: الرقيم الكتاب، وذكر عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ما أدري ما الرقيم، أكتاب أم بنيان، يعني أصحاب الكهف والرقيم.

وحكى ابن بري قال: قال أبو القاسم الزجاجي في الرقيم خمسة أقوال: أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتب فيه أسماؤهم، الثاني أنه الدواة بلغة الروم، عن مجاهد، الثالث القرية، عن كعب، الرابع الوادي، الخامس الكتاب، عن الضحاك وقتادة وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة، وهو فعيل في معنى مفعول.

وفي الحديث الشريف: كان يسوي بين الصفوف حتى يدعها مثل القدح أو الرقيم، الرقيم: الكتاب، أي حتى لا ترى فيها عوجاً كما يقوّم الكاتب سطوره [٢].

---

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٦ ص ٣١٤ .
(٢) لسان العرب - ابن منظور ج ٢١ ص ٢٥٠ .

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾

س - كيف صح أن يرخص الله لنبيّه بالمراء الظاهر؟ وما معنىٰ المراء؟

ج - إن قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴿٢٢﴾﴾ معناه فلا تجادل الخائضين في عدد أهل الكهف وشأنهم إلا بحجة ظاهرة ودلالة واضحة وإخبار منه سبحانه، وهذا هو المراء الظاهر.

وقال الضحاك: معناه حسبك ما قصصنا عليك.

وقال البلخي: وفي ذلك دلالة على أن المراء قد يحسن إذا كان بالحق وبالصحيح من القول، وإنما المذموم منه ما كان باطلاً والغرض المبالغة لا بيان الحق. والمراء الخصومة والجدل[1].

وقد ذكر بعض المفسرين فيه وجوهاً:

أولها: إن معناه لا تجادلهم إلا بما أظهرنا لك من أمرهم، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد. أي: لا تجادل إلا بحجة، ودلالة، وإخبار من الله سبحانه، وهو المراء الظاهر.

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٧ ص ٢٧٠.

وثانيها: إن المراد لا تجادلهم إلا جدالاً ظاهراً، وهو أن تقول لهم أثبتم عدداً، وخالفكم غيركم، وكلا القولين يحتمل الصدق والكذب، فهلموا بحجة تشهد لكم.

وثالثها: إن المراد إلا مراء يشهده الناس ويحضرونه. فلو أخبرتهم في غير ملأ من الناس، لكذبوا عليك، ولبسوا على الضعيف، فادعوا أنهم كانوا يعرفونه، لأن ذلك من غوامض علومهم[1].

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾

س - ما وجه نصب سنين هنا؟ وما معنى تفسير الآية؟ وهل هي سنون قمرية ام سنون شمسية؟

ج - نصب سنين بدلاً أو عطف بيان وقال الفراء وأبو عبيدة والزجاج والكسائي فيه تقديم وتأخير والتقدير سنين ثلثمائة[2].

أي: نصب سنين بـ ﴿لبثوا﴾، وتقديره سنين ثلاثمائة، فـ ﴿سنين﴾ مفعول ﴿لبثوا﴾ و ﴿ثلاثمائة﴾ بدل، كما تقول خرجت أياماً خمسة وصمت سنين عشرة. وان شئت نصبت ﴿ثلاثمائة﴾ بـ ﴿لبثوا﴾، وجعلت ﴿ سنين﴾ بدلاً ومفسرة لها.

---

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٦ ص ٣٢٩ .
(٢) فتح القدير - الشوكاني ج ٣ ص ٢٧٩ .

ومن أضاف قال ابن خالويه: هي قراءة غير مختارة، لانهم لايضيفون مثل هذا العدد إلا إلى الافراد فيقولون ثلاثمائة درهم ولا يقولون ثلاثمائة دراهم قال أبو علي الفارسي قد جاء مثل ذلك مضافاً إلى الجمع، قال الشاعر:

فما زودوني غير سحق عمامةٍ

وخمسمائة منها قسي وزائف[1]

اما معنى تفسير هذه الآية من كتاب الله عز وجل فهي خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله وأعثر عليهم أهل الزمان وأنه كان مقداره ثلثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية فإن تفاوت ما بين كل ثلثمائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين فلهذا قال بعد الثلثمائة وازدادوا تسعاً وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾، أي إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض [2].

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾

(١) التبيان – الشيخ الطوسي ج ٧ ص ٣١ .

(٢) تفسير ابن كثير – ابن كثير ج ٣ ص ٨٤ .

س – ظاهر الآية ان الله هو الذي أوقع عبده في الغفلة وهذا قبيح عقلاً.

ج ـ وجواب ذلك ان معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، بتعريضه نفسه للغفلة، ويدل على ما ذكرنا قوله واتبع هواه، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾، ويكون لدى الحقيقة لم يوقعه الله في الغفلة وإنما هو أوقع نفسه، لكن نسب إليه سبحانه بعلاقة أنه منعه ألطافه وعنايته فكانت نتيجته الغفلة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾

س – كيف يصح على موسى(ع) النسيان؟ وكيف كان للشيطان عليه سبيل حتى انساه الحوت وعندنا النسيان لا يجوز على الانبياء؟

ج ـ الناسي للحوت في هذه الآية هو يوشع، وما كان نبياً، وأما قوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾، فليس معناه أن النسيان صدر من موسىعليه السلام ويوشع، بل الناسي له كان احدهما وهو يوشع، فأضيف النسيان إليهما كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد امرهم، على ان النسيان هنا معناه الترك، وبهذا المعنى يفسر في قوله تعالىٰ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، أي بما

تركت، ويجري هذا مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾، أي ترك ولما كانت لا تصح نسبة السهو والنسيان إلى الانبياء، وجب حملها على ما ذكرنا لقيام الأدلة القطعية على انه لا يجوز على الانبياء السهو ولا النسيان[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

س - هل يصح أن يكون في زمان النبي من هو اعلم منه، فهذا موسى كان في زمانه الخضر(ع) ويظهر أنه أعلم من موسى(ع) حسب تصريح القرآن، وهل الخضر(ع) كان نبياً أم لا؟

ج - المعروف بين المفسرين أن الخضرعليه السلام كان نبياً (أولاً) بدلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾، معناه أن ما فعل من قتل الغلام وخرق السفينة وبناء الجدار إنما هو عن أمر الله سبحانه (وثانياً) لأنه أعلم من موسىعليه السلام (وثالثاً) لما ورد في التاريخ من أن الخضرعليه السلام كان نبياً بعثه الله إلى قومه فدعاهم إلى توحيد الله، وكانت آيته أنه لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلاّ أورقت الخشبة واهتزت الارض الخضراء، وانما سمي الخضر لذلك وكان اسمه يليا بن ملكان بن عامر بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وحينئذ لا يتوجه السؤال، وإذا

(١) ومن اراد المزيد فليراجع كتابنا الخضر بين الانبياءعليهم السلام.

منعنا من كونه نبياً، نقول يجب في النبي أن يكون اعلم من الناس المبعوث إليهم، وليس منهم الخضر عليه السلام، ويمكن أن يكون الخضر عليه السلام خص بعلم سماوي لا تعلق له بالاداء، فاستعلم موسى منه ذلك العلم فقط. ومن اراد المزيد فليراجع[1].

قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

س - يظهر من قوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ان الله جاهل بالواقع؟

ج - ليس الترجي منه سبحانه، وإنما هو من موسى عليه السلام وأخيه، ومعنى الآية ادعواه على الرجاء والطمع، لا على اليأس من فلاحه، لان ذلك ابلغ لهما في دعائه إلى الحق، وبعبارة أوضح اذهبا على رجائكما وطمعكما والعلم من الله قد أتى من وراء ما يكون، وإنما يبعث الله الرسل وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

(١) المصدر نفسه.

س – ما وجه قوله: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ على الجمع وإنما هو طرفان كما قال تعالىٰ في سورة هود: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾.

ج ـ المراد باطراف النهار وقت الصبح ووقت الزوال، ووقت العصر، وأما الزوال فلأنه ملتقى طرف النصف الاول ومبتدأ طرف النصف الثاني من النهار وأراد من قوله طرفي النهار الصبح والعصر، ولا منافاة.

قال تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾

س – ان ﴿جَعَلَ﴾ تنصب مفعولين، فكيف نصبت هنا ثلاثة مفاعيل.

ج ـ حكم الاثنين الاخيرين (حصيداً خامدين) هو حكم المفعول الواحد، لأن معنى قولك: جعلته حلواً حامضاً، جعلته جامعاً للطعمين، وفي المقام جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود.

قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾

س – فيمن نزلت هذه الآية؟ ولماذا قال اختصموا ولم يقل اختصما.

ج - نزلت هذه الآية في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر وهم حمزة بن عبد المطلب، قتل عتبة بن ربيعة، وعلي بن أبي طالب عليه السلام قتل الوليد بن عتبة، وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، قتل شيبة بن ربيعة، وقد روى ذلك البخاري في صحيحه، فاراد من قوله: خصمان المؤمنين والكفار، ومن قوله اختصموا الجميع وهم الستة فبلحاظ كونهم فرقتين قال: خصمان، وبلحاظ كونهم أفراداً قال اختصموا، كما يقال: اقتتل الفريقان فشربت الأرض من دمائهم، واودعوا ظلمات السجون، وذلك باللحاظ الذي ذكرناه [1].

فلذلك قال في الآية: ﴿خصمان﴾، لأنهما جمعان، وليسا برجلين. ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾

س. لماذا قال ﴿فتصبح﴾، ولم يقل فأصبحت، ولماذا رفع ﴿فتصبح﴾ ولم ينصبها بـ (أن) بعد فاء السببية جواباً للاستفهام.

ج. انما قال: ﴿فتصبح﴾، لنكتة واضحة، وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: انعم علي فلان بكذا عام

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٧ ص ١٣٩ .

كذا، فأروح وأغدو شاكراً له، ولو قلت: فرحت وغدوت، لم يقع في الموقع، ولم يكن للنعمة ذلك الاثر في النفوس، وأما وجه رفع ﴿فتصبح﴾، فلأنه لو نصب لأعطى عكس الغرض، لأن معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار مثال ذلك أن تقول لصاحبك: ألم تر اني أنعمت عليك فتشكر فإن نصبت فأنت نافٍ لشكره شاكٍ تفريطه فيه، وان رفعت فأنت مثبت للشكر، هذا وأمثاله مما يجب أن يرغب إليه من ألمّ بالعلم في علم الاعراب وتوقير أهله.

وبعبارة أوضح إنه يشترط في نصب الفعل بعد فاء السببية أن يقصد بها كون ما قبلها سبباً للفعل الداخلة عليه، وفي المقام لم يقصد ذلك بل المقصود الاخضرار. وقيل: عدل عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان إن الله لطيف يصل علمه إلى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة [1].

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾

س - لماذا قدم ذكر الزانية، وما حكم الزنا بالمحصن ذات الزوج، وبالخلية؟

ج - إنما قدم ذكر الزانية لأنه الغالب في النساء كما انه قدم ذكر

(١) التفسير الصافي - الفيض الكاشاني ج ٣ ص ٣٨٩ .

السارق لأنه الغالب في الرجال في قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾، وحكم الزنا بذات الزوج، الرجم أي القتل رمياً بالحجارة، وحكم الزنا بالخلية الجلد المذكور في الآية.

وقيل: وقدمت الزانية في الذكر على الزاني لان الزنا منهن أشنع ولكون الشهوة فيهن أقوى وأكثر والخطاب في الامر بالجلد متوجه إلى عامة المسلمين فيقوم بمن قام بأمرهم من ذوي الولاية من النبي والامام ومن ينوب عنهما به [1].

قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾

س. كيف صح مجيء ﴿خاضعين﴾ خبراً عن الاعناق، وحقه أن يأتي بقوله: خاضعة؟ وما معنى تفسير الآية؟

ج - قيل في الجواب أربعة اقوال:

اولها - فظل اصحاب الاعناق لها خاضعين، وحذف المضاف، واقام المضاف إليه مقامه لدلالة الكلام عليه.

الثاني - انه أراد بالاعناق الرؤساء والجماعات، كما يقال جاءه عنق من الناس أي جماعة.

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٥١ ص ٧٩.

الثالث - انّ يكون على الاقحام . قال أبو عبيدة، والمبرد ﴿خاضعين﴾ من صفة الهاء والميم، في قوله: ﴿اعناقهم﴾ كما قال جرير:

أرى مر السنين أخذن مني

كما أخذ السرارُ من الهلالِ

فعلى هذا يكون ترك الاعناق وأخبر عن الهاء والميم، وتقديره فظلوا خاضعين لها والاعناق مقحمة.

الرابع - أنها ذكرت بصفة من يعقل لما نسب إليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر:

تمززتها والديك يدعو صياحه

إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

ويروى نادى صباحه [1].

وكذلك على حد قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾

وقد أراد الله بذلك الاخبار عن قدرته وانه لو شاء الجاءهم إلى الايمان لكان عليه قادراً. ولا يدل ذلك على أنه لم يشأ منهم

---

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٨ ص ٦ .

الايمان على وجه الاختيار منهم أو لم يشأ ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين، لان الله تعالى قد شاء منهم الايمان على هذا الوجه وانما أفاد نفي المشيئة لما يلجئهم إلى الايمان، لانه متى ألجأهم إليه لم يكن ذلك ايماناً يستحق عليه الثواب، والغرض بالآية ان يبين تعالى ان الكفار لم يغلبوا الله بكفرهم ولا قهروه بخلافه وانه لو أراد أن يحول بينهم وبينه لفعل، لكنه يريد ان يكون ايمانهم على وجه يستحقون به الثواب، ولا ينافي التكليف[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾

س - أليس قوله «لأسجننك» أخصر من ﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ ومؤدياً مؤداه.

ج- أما أخصر فنعم، وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادة فرعون أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها، ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٢٤ .

س – لمَ علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر في الدنيا؟ وما معنىٰ تفسيرها هي والآية التي قبلها؟

ج – لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم. وإنما قال ذلك على سبيل الانقطاع منه إلى الله تعالى، لا على سبيل أن له خطيئة يحتاج إلى أن يغفر له يوم القيامة، لأن عندنا لا يجوز أن يقع من الأنبياء شيء من القبائح . وعند جميع أهل العدل، وإن جوزوا عليهم الصغائر، فإنها تقع عندهم محبطة مكفرة، فليس شيء منها غير مغفور، فيحتاج إلى أن يغفر يوم القيامة.

وقيل: معناه أطمع أن يغفر لمن يشفعني فيه، فأضافه إلى نفسه، كقوله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

وهذا الكلام من إبراهيم عليه السلام إنما صدر على وجه الاحتجاج على قومه، والإخبار بأنه لا يصلح للإلهية إلا من فعل هذه الأفعال[1].

وقد استعمل عليه السلام من الادب في ثنائه أن أتى ببناء جامع أدرج فيه عناية ربه به من بدء خلقه إلى أن يعود إلى ربه، وأقام فيه نفسه مقام الفقر والحاجة كلها، ولم يذكر لربه إلا الغنى والجود المحض، ومثل نفسه عبداً داخراً لا يقدر على شيء وتقلبه المقدرة الالهية حالاً

(١) تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي ج ٧ ص ٣٣٦ .

إلى حال من خلق ثم اطعام وسقي وشفاء من مرض ثم إماتة ثم إحياء ثم إشخاص إلى جزاء يوم الجزاء، وليس له إلا الطاعة المحضة والطمع في غفران الخطيئة [1].

قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

س - لم جمع الشافع ووحّد الصديق.

ج - لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلدته لشفاعته رحمة له وان لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك فهو يكاد يجعل في عداد المستحيلات قال الشاعر:

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً
لايوجدان فدع عن نفسك الطمعا
فقد تكلم قوم في وجودهما
ولا أظنهما كانا ولا اجتمعا

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٦ ص ٢٦٩ .

س - العصبة هي التي تنوء بالمفاتح، لا المفاتح بالعصبة، وعلى هذا يقتضي أن يكون القول لتنوء بها العصبة (أي تنهض على تثاقل)؟ وما هي العصبة؟ وما هو تفسير الآية؟

ج - لا يخفى أن اللغويين اتفقوا على قولهم (ناء بالحمل نهض به على تثاقل) وناء الحمل به أثقله واجهده وان العرب تسند بعض الالفاظ إلى أمور متقابلة، قال امرؤ القيس في معلقته:

كميت يزل السرج عن حالِ متنهِ كما زلّت الصفواءُ بالمتنزلِ

فأسند الزلل في صدر البيت إلى السرج المتحول، واسنده في العجز إلى الصفواء المتحول عنها المطر، وأما المفاتح في الآية فهو جمع مفتح، وهو ذات الكنز لا المفتاح الذي هو آلة الغلق.

قال في المجمع: البغي طلب العتو بغير حق . قال: والمفاتح جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح ومعناهما واحد وهو عبارة عما يفتح به الاغلاق. قال: وناء بحمله ينوء نوءاً إذا نهض به مع ثقله عليه.

وقال غيره: ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله وهو الاوفق للآية.

وقال في المجمع أيضاً: العصبة الجماعة الملتف بعضها ببعض. وقال: واختلف في معنى العصبة فقيل: ما بين عشرة إلى خمسة عشر عن مجاهد، وقيل: ما بين عشرة إلى أربعين عن قتادة، وقيل: أربعون رجلاً عن أبي صالح، وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة عن ابن عباس، وقيل: انهم الجماعة يتعصب بعضهم لبعض، كقول اخوة يوسف: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، وهم تسعة نفر. والمعنى: ان قارون كان من بني اسرائيل فطلب العتو عليهم بغير حق وأعطيناه من الكنوز ما ان مفاتيحه لتثقل الجماعة ذوي القوة، وذكر

جمع من المفسرين أن المراد بالمفاتح الخزائن[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

س - كيف التوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾، من سورة الصافات وقوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾، من سورة الحجر وقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ج - معنى الآية انهم يدخلون النار بغير حساب لأن الله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم، ولأن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسألون ويأخذونهم بالنواصي والاقدام بغير حساب كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾، ومثل هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾، وأما الآيات التي تدل بظاهرها على أن السؤال لا بد منه، فانما ذلك سؤال تقريع وتوبيخ لا ليعلم ذلك من قبلهم.

قيل لا يسأل المجرم عن جرمه في ذلك الموطن، لما يلحقه من الذهول الذي تحار له العقول وان وقعت المسألة في غير ذلك الوقت بدلالة قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

(١) المصدر نفسه ج ٦١ ص ٧٥ .

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

س - ما معنى نسبة الوجه إلى الله تعالى في هذه الآية وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، وقوله تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾، ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الموهِمة أن الله ذو جسم وله وجه؟

ج - ينقسم الوجه في اللغة العربية إلى اقسام: فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان، والوجه أيضاً أول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ ﴿٧٢﴾﴾، أي أول النهار، ومنه قول الربيع بن زياد:

من كانَ مسروراً بمقتلِ مالكٍ
فليأت نسوتنا بوجه النهارِ

والوجه القصد بالفعل، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا

مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾، والوجه الرئيس المنظور إليه، يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشيء نفسه وذاته والوجه المذكور في الآيات من هذا القبيل فمعنى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، أي كل شيء هالك إلاّ إياه، وكذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦-٢٧] وأما قوله تعالىٰ: ﴿انما نطعمكم لوجه الله﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ وقوله: ﴿تريدون وجه الله﴾، فمعناه أن هذه الافعال مفعولة ومقصود بها ثوابه ورضاه، والقربة إليه والزلفه عنده.

وأما قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، فمعناه فثم عناية الله ولطفه ورضاه وثوابه. واختلف في معنى قوله: ﴿إلا وجهه﴾، فقال بعضهم: معناه: كل شيء هالك إلا هو .

وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما أريد به وجهه، واستشهدوا لتأويلهم ذلك بقول الشاعر:

أستغفر الله ذنباً لستُ محصيه
ربُ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ[(١)]

وروي عن عبد الله بن عبد الرحمان، عن عبد الله بن القاسم، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، قال: نحن وجه الله عزّ وجل[(٢)].

---

(١) جامع البيان - ابن جرير الطبري ج٢ ص١٥٥ .

(٢) تأويل الآيات - شرف الدين الحسيني ج ١ ص ٤٢٦ .

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

س. قوله أهون عليه يدل على أن من الموجدات ما هو صعب على الله ومنها ما هو أصعب عليه وهذا ينافي قوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

ج. إنما قال أهون عليه لما تقرر في العقول أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه ومعنى أهون أيسر وأسهل وهم كانوا مقرين بالابتداء فكأنه قال لهم: كيف تقرون بما هو أصعب عندكم وتنكرون ما هو أهون عندكم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

س. لماذا عداها هنا بـ ﴿إلى﴾ وفي سورة البقرة عداها باللام في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾، وفي سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾.

ج. معناه مع (اللام) انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه خالصاً لله

ومعناه مع (إلى) أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه.

قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

س. كيف صحت نسبة النسيان إليه سبحانه كما في هذه الآية مع أنه سبحانه لا ينسى كما جاء في سورة طه إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾؟

ج. المراد بالنسيان الترك أي كما تركتمونا ولم تحتفظوا بكرامتنا فنحن معكم كذلك وقوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ المراد به النسيان الذي هو الغفلة والذهول تعالى الله عن ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

س - ما معنى الصلاة منه سبحانه ومن ملائكته.

ج. الصلاة من الله المغفرة والرحمة وقيل الثناء ومن الملائكة طلبهم انزال الرحمة من الله تعالى وأما آية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ فمعناها أن الله يصلي على النبي ويثني عليه بالثناء الجميل ويبجله بأعظم التبجيل وملائكته يصلون عليه يثنون عليه بأحسن

الثناء ويدعون له بأذكى الدعاء. واستعمل فيه لفظ الصلاة في الجامع بين صلاة الله وصلاة الملائكة وهو العطف، لا أن المستعمل فيه متعدد كما هو ظاهر بعض المفسرين، حيث قالوا بأن صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة استغفارهم[1].

وفي ثواب الأعمال عن الكاظم عليه السلام أنه سئل ما معنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمن قال: صلاة الله رحمة من الله وصلاة الملائكة تزكية منهم له وصلاة المؤمنين دعاء منهم له .

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: الصلاة من الله عز وجل رحمة ومن الملائكة تزكية ومن الناس دعاء. وأما قوله عز وجل: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، يعني التسليم فيما ورد عنه صلى الله عليه وآله قيل: فكيف نصلي على محمد وآله قال تقولون صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته قيل: فما ثواب من صلى على النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصلوات قال الخروج من الذنوب والله كهيئة يوم ولدته امه.

وذكرالقمي قال: صلوات الله عليه تزكية له وثناء عليه وصلاة الملائكة مدحهم له وصلاة الناس دعاؤهم له والتصديق والإقرار بفضله وقوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ يعني سلموا له بالولاية وبما جاء به وفي المحاسن عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال أثنوا عليه وسلموا له.

---

(١) الرافد في علم الأصول- تقرير بحث السبستاني للسيد منير ص ١٨٧ .

وفي العيون عن الرضاعليه السلام في مجلسه مع المأمون قال: وقد علم المعاندون منهم أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك فقال: تقولون اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف قالوا: لا، قال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الامة فهل عندك في الآي شيء أوضح من هذا في القرآن قال: نعم أخبروني عن قول الله تعالى: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [يس: ١-٤]، فمن عنى بقوله: ﴿يسٓ﴾، قالت العلماء: ﴿يسٓ﴾ محمدصلى الله عليه وآله وسلم لم يشك فيه أحد، قالعليه السلام: فإن الله أعطى محمداً وآل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلا من عقله وذلك أن الله لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾﴾، ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولم يقل: سلام على آل موسى وهرون ،وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾، يعني آل محمد صلوات الله عليهم، فقال: قد علمت أن في معدن النبوة شرح هذا وبيانه. وعنهعليه السلام فيما كتبه في شرائع الدين والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله واجبة في كل موطن وعند العطاس والرياح وغير ذلك. وفي الخصال مثله عن الصادقعليه السلام وفي الكافي والفقيه عن الباقرعليه السلام: وصلِّ على النبي كلما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان وغيره.

وفي الكافي عنهعليه السلام قال: لما قبض النبيصلى الله عليه وآله وسلم صلت عليه

الملائكة والمهاجرون والأنصار فوجاً فوجاً قال: وقال أمير المؤمنين﷣: سمعت رسول اللهﷺ يقول في صحته وسلامته إنما أُنزلت هذه الآية في الصلاة علي بعد قبض الله لي: ﴿إن الله وملائكته يصلون﴾ الآية.

وفيه مرفوعاً قال: إن موسى﷣ ناجاه الله تعالى فقال له في مناجاته وقد ذكر محمداًﷺ: فصلِّ عليه يا ابن عمران فإني أصلي عليه وملائكتي.

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين﷣: لهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ أي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به إليه تسليماً قال: وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسه وصفا ذهنه وصح تمييزه [1].

وجاء في الصحيح المتفق عليه أنه قيل لرسول اللهﷺ: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقالﷺ قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. وقد عبر الشافعي عن فرض الصلاة على محمد وآل محمد بقوله:

يا أهلَ بيت رسول الله حبكمُ
فرضٌ من اللهِ في القرآن أنزلهُ

(١) التفسير الصافي – الفيض الكاشاني ج ٤ ص ٢٠١ .

كفاكمُ من عظيمِ الشأن أنكمُ
من لم يصلِ عليكم لا صلاة لهُ[1]

قال تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾

س - ما معنى وصف الضلال بالبعد؟

ج - هو من الاسناد المجازي لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعداً كان أضل ونظير هذا الاسناد قوله: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾، والعيشة لا تكون راضية وإنما صاحبها.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

س - ما وجه الترديد مع علمه أنه على الهدى؟ وكيف خولف بين حرفي الجر على الهدىٰ والضلال؟

ج - أما الترديد فلأنه يؤتى به على وجه الاستعطاف والمداراة ليسمع الخصم الكلام وهذا من أحسن ما ينسب به المحقّ نفسه إلى الهدى وخصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكاشف

(١) مودة أهل البيت (ع)- مركز الرسالة ص ٩٦ .

بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه ويحثه على النظر إلا بعد التردد.

اما وجه المخالفة بين حرفي الجر الداخلي فقيل: في قوله تعالى: ﴿أو إياكم﴾، معطوف على اسم إن، وأما الخبر فيجب أن يكون مكرراً كقولك: إن زيداً وعمراً قائم .

والتقدير: إن زيداً قائم وإن عمراً قائم، واختلفوا في الخبر المذكور فقال بعضهم: هو للأول، وقال بعضهم: هو للثاني، فعلى هذا يكون ﴿لعلى هدى﴾ خبر الأول، و ﴿أو في ضلال﴾ معطوف عليه، وخبر المعطوف محذوف لدلالة المذكور عليه، وعكسه آخرون، والكلام على المعنى غير الإعراب، لأن المعنى إنا على هدى من غير شك، وأنتم على ضلال من غير شك، ولكن خلطه في اللفظ على عادتهم في نظائره كقولهم: أخزى الله الكاذب مني ومنك[١].

وعلى هذا قال أبو الاسود الدؤلي يمدح اهل البيت يقول:

الارذلــون بــنــو قــشــيــر طــوال الـدهـر مـا تـنـسى عـلـيـا
احـب مـحـمـداً حـبـاً شـديـداً وعـبـاسـاً وحـمـزة والـوصـيـا
بـنـو عـم الـنـبـي وأقـربـوه احـبُ الـنـاسِ كـلـهـم الـيـا
فـان يـك حـبـهـم رشـداً أُصـبـه ولـسـت بـمـخـطـئ إن كـان غـيـا

ولم يقل هذا وهو شاكٌ في محبتهم، وأنها هدى وطاعة، وقال اكثر المفسرين: إن معناه إنا لعلى هدى وإياكم لعلى ضلال وقال أبو عبيدة: ﴿أو﴾ بمعنى الواو، كما قال الاعشى:

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن - أبو البقاء العكبري ج ٢ ص ١٩٧ .

اتــغـلـبــة الــفــوارس أو ريــاحــاً

عــدلــت بهــم طـهــيــة والحــشــايــا

بمعنى اتغلبة ورياحاً [1].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

س - هل يصح أن تكون ﴿كافة﴾ حالاً من الناس؟ وما معنى الرسالة في قوله تعالى ﴿أرسلناك﴾؟

ج - جعلها حالاً من الناس متقدماً خطأ واضح لأن تقدم الحال على صاحب الحال لا يجوز ومعنى الآية وما أرسلناك إلاّ إرسالة عامة لهم محيطة بهم وفي هذه الآية دلالة على أنه ﷺ أُرسل إلى البشر عامة.

وقيل: الهاء فيه للمبالغة كقولهم: راوية وعلامة ونسابة. وربما قيل: ان التقدير وما أرسلناك الا ارسالة كافة للناس ولا يخلو من تكلف وبعد. وأما كون كافة بمعنى جميعاً وحالاً من الناس، والمعنى: وما أرسلناك الا للناس جميعاً فهم يمنعون عن تقدم الحال على صاحبه المجرور.

واعلم أن منطوق الآية وإن كان راجعاً إلى النبوة وفيها انتقال

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٨ ص ٣٩٤.

من الكلام في التوحيد إلى الكلام في النبوة على حد الآيات التالية، لكن في مدلولها حجة أخرى على التوحيد وذلك أن الرسالة من لوازم الربوبية التى شأنها تدبير الناس في طريق سعادتهم ومسيرهم إلى غايات وجودهم [1].

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾

س - ما وجه تكرار ﴿لا﴾ في هذه الآيات؟ وما هو معنى ﴿الحرور﴾؟

ج. كررت لتأكيد النفي والمراد بالظلمات ظلمات الشرك وبالنور نور الايمان وبالظل الجنة وبالحرور النار. وقيل: الظل الناس والحرور البهائم ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ قال: هؤلاء الكفار لا يسمعون منك كما لا يسمع أهل القبور. والحرور شدة حر الشمس على ما قيل. وقيل: هو السموم وقيل: السموم يهب نهاراً والحرور يهب ليلاً ونهاراً[2].

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٦١ ص ٣٧٦ .
(٢) المصدر نفسه ج ٧١ ص ٣٦ .

س - ما الفرق بين النصب واللغوب؟ وما معنى الآية؟

ج . النصب هو التعب الذي يصيب المنتصب للامر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة واللغوب نتيجته وما يحدث عنه من الكلال والفتور.

والمعنى: أي لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم فمن ذلك أنهم كانوا يدئبون أنفسهم في العبادة في الدنيا فسقط عنهم التكليف بدخولها وصاروا في راحة دائمة مستمرة [1].

قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)﴾

س - ما الصافات وما الزاجرات وما التاليات وما وجه القسم بها ولِم لم يقل فالتاليات تلواً كما قال فالزاجرات زجرا.

ج - أقسم الله تعالى بهذه الطوائف الثلاث: الصافات والزاجرات والتاليات وقد اختلفت كلماتهم في المراد بها: فأما الصافات فقيل: إن المراد بها الملائكة تصف أنفسها في السماء صفوفا كصفوف المؤمنين في الصلاة، ومنه قول الملائكة في قوله

(١) تفسير ابن كثير - ابن كثير ج ٣ ص ٥٦٥ .

تعالى: ﴿وما منّا إلا له مقام معلوم﴾ وقيل: إنها الملائكة تصف أجنحتها في الهواء إذا أرادت النزول إلى الارض واقفة في انتظار أمر الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إنا لنحن الصافّون﴾ أي حول العرش ننتظر الأمر والنهي، وقوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ وقيل: إنها الجماعة من المؤمنين يقومون في الصلاة أو في الجهاد مصطفين . وأما الزاجرات فقيل: إنها الملائكة تزجر العباد عن المعاصي فيوصله الله إلى قلوب الناس في صورة الخطرات كما يوصل وساوس الشياطين، وقيل: إنها الملائكة الموكلة بالسحاب تزجرها وتسوقها إلى حيث أراد الله سبحانه، وقيل: هي زواجر القرآن وهي آياته الناهية عن القبائح، وقيل: هم المؤمنون يرفعون أصواتهم بالقرآن عند قراءته فيزجرون الناس عن المنهيات . وأما التاليات فقيل: هم الملائكة يتلون الوحي على النبي الموحى إليه، وقيل: هي الملائكة تتلو الكتاب الذي كتبه الله وفيه ذكر الحوادث، وقيل: جماعة قراء القرآن يتلونه في الصلاة[1] .

وقال بعض المفسرين: والصافات - على ما قيل: جمع صافة وهي جمع صاف، والمراد بها على أي حال الجماعة التي تصطف أفرادها والزاجرات من الزجر وهو الصرف عن الشيء بالتخويف بذم أو عقاب والتاليات من التلاوة بمعنى القراءة .

(١) راجع تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٧١ ص ١٢٠ .

وانما لم يقل فالتاليات تلواً - لأن التالي قد يكون بمعنى التابع ومنه قوله ﴿والقمر إذا تلاها﴾ فلما كان اللفظ مشتركاً بيّنه بما يزيل الابهام ووجه القسم بهذه هو لأنها تنبئ عن تعظيمها بما فيها من الدلالة على توحيد الله وصفاته العلى فله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلاّ به.

قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾

س - كيف شبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين وهي لا تعرف وإنما يشبه الشيء بما يعرف؟

ج - ان قبح صورة الشيطان متصور في النفوس ولذلك يقولون لما يستقبحونه جداً كأنه شيطان فشبه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرت بشاعته وارتسمت على لوحة الخاطر، قال الراجز:

أبصرتها تلتهمُ الثعبانا شيطانةٌ تزوجتْ شيطانا

وقال امرؤ القيس:

أتقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فشبه أسنته بأنياب الأغوال ولم يرها.

قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

س - كيف جاز لإبراهيم(ع) أن يقول: ﴿إني سقيم﴾، ولم يكن سقيماً.

ج - قوله: ﴿إني سقيم﴾، معناه إني سقيم القلب والرأي خوفاً من اصرار قومه على عبادة الاصنام وهي التي لا تسمع ولا تبصر ويكون قوله: فنظر نظرة في النجوم على هذا معناه أنه نظر وفكر في أنها محدثة مدبَّرة مصرَّفة مخلوقة فعجب كيف يذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى يعبدوها.

وقيل معناه: اني سقيم، اي غماً بضلالكم.

وقيل: معناه سقيم عندكم، فيما أدعوكم إليه من الدين.

وقيل: ان من كانت عاقبته الموت جاز ان يقال فيه سقيم، مثل المريض المشرف على الموت [(١)].

وقيل: إن اخباره عليه السلام بأنه سقيم مرتبط بنظرته في النجوم ومبني عليه ونظرته في النجوم اما لتشخيص الساعة وخصوص الوقت كمن به حمى ذات نوبة يعين وقتها بطلوع كوكب أو غروبها أو وضع خاص من النجوم واما للوقوف على الحوادث المستقبلة التي كان المنجمون يرون أن الاوضاع الفلكية تدل عليها، وقد كان الصابئون مبالغين فيها وكان في عهده عليه السلام منهم جم غفير. فعلى الوجه الاول لما أراد أهل المدينة أن يخرجوا كافة إلى عيد لهم نظر إلى النجوم وأخبرهم أنه سقيم ستعتريه العلة فلا يقدر على الخروج معهم. وعلى الوجه الثاني نظر عليه السلام حينذاك إلى النجوم نظرة المنجمين فأخبرهم أنها تدل على أنه سيسقم فليس في وسعه الخروج معهم. وأول الوجهين أنسب لحاله عليه السلام وهو في إخلاص التوحيد بحيث لا

---

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٧ ص ٢٦٠ .

يرى لغيره تعالى تأثيراً، ولا دليل لنا قوياً يدل على أنه عليه السلام لم يكن به في تلك الايام سقم أصلاً، وقد أخبر القرآن بإخباره بأنه سقيم وذكر سبحانه قبيل ذلك أنه جاء ربه بقلب سليم فلا يجوز عليه كذب ولا لغو من القول [1].

وقد ذكر عن ابي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: التقية من دين الله، قلت من دين الله ؟ قال: اي والله من دين الله ولقد قال يوسف عليه السلام: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ والله ما كانوا سرقوا شيئاً ولقد قال ابراهيم عليه السلام: ﴿ اني سقيم ﴾ والله ما كان سقيماً [2].

قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

س - أليس ظاهر هذه الآية ان الله خالق لاعمال العباد لأن - ﴿ما﴾ ها هنا بمعنى (الذي) فكأنه قال خلقكم وخلق أعمالكم.

ج - معنى الآية: خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم وهذا كما يقال: فلان يعمل الحصير وهذا الباب من عمل فلان من التجار فقوله: ﴿ما تعملون﴾ أراد به المنحوت من الاحجار دون الفعل الذي هو النحت فليس لأهل الجبر تعليق في هذه الآية، على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لأنه من المعلوم أن الكفار لم يعبدوا نحتهم الذي هو فعلهم وانما كانوا يعبدون الاصنام التي هي الاحجار المنحوتة.

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٧١ ص ١٤٨ .
(٢) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج ٢ ص ٤٤٣ .

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾

س - الخصم مفرد و ﴿تسوروا﴾ للجماعة فكيف ذلك.

ج - لانه أراد المدعي والمدعى عليه ومن معهما، ومثله قوله تعالى: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٢٢﴾﴾، لانه أراد بذلك الفريقين، أي نحن فريقان خصمان، أي نقول ما يقول خصمان، لانهما كان ملكين ولم يكونا خصمين ولا بغى أحدهما على الآخر، وانما هو على المثل [1].

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

س - إن الامراض والمحن التي لحقت أيوب(ع) إنما كانت جزاء على ذنب نطق به القرآن في قوله: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ والعذاب لا يكون إلا جزاءً كالعقاب، والآلام الواقعة على سبيل الامتحان لا تسمى عذاباً ولا عقاباً فما هو الذنب وكيف صح صدوره منه والذنب لا يجوز على الانبياء؟ وما معنى تفسير هذه الآية؟

ج - ان الامراض والمحن النازلة بأيوب عليه السلام لم تكن إلا امتحاناً وهذه سنّة الله تعالى في اصفيائه وأوليائه عليهم السلام. أما ظاهر القرآن

(١) فقه القرآن - القطب الراوندي ج ٢ ص ١٠ .

فليس يدل على ان ايوب عليه السلام عوقب بما نزل به من المضار، وليس في ظاهره شيء مما ظنه السائل، لانه تعالى قال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾، والنصب هو التعب، وفيه لغتان بفتح النون والصاد، وضم النون وتسكين الصاد. والتعب هو المضرة التي لا تختص بالعقاب، وقد تكون على سبيل الامتحان والاختبار. وأما العذاب فهو ايضاً يجري مجرى المضار التى يختص اطلاق ذكرها بجهة دون جهة. ولهذا يقال للظالم والمبتدئ بالظلم انه معذب ومضر ومؤلم، وربما قيل: معاقب على سبيل المجاز. وليست لفظة العذاب بجارية مجرى لفظة العقاب، لان لفظة العقاب يقتضي ظاهرها الجزاء لانها من التعقيب والمعاقبة، ولفظة العذاب ليست كذلك. فأما اضافته ذلك إلى الشيطان، وإنما ابتلاه به فله وجه صحيح، لانه لم يضف المرض والسقم إلى الشيطان، وإنما أضاف إليه ما كان يضر به من وسوسته ويتعب به من تذكيره له ما كان فيه من النعم والعافية والرخاء، ودعائه له إلى التضجر والتبرم مما هو عليه، ولانه كان ايضاً يوسوس إلى قومه بأن يستقذروه ويتجنبوه ويستخفوه لما كان عليه من الامراض الشنيعة المنتنة، ويخرجوه من بينهم. وكل هذا ضرر من جهة ابليس [1].

يقول السيد الطباطبائي: الظاهر أن المراد من مس الشيطان له بالنصب والعذاب استناد نصبه وعذابه إلى الشيطان بنحو من السببية

(١) تنزيه الأنبياء- الشريف المرتضى ص ٩٠ .

والتأثير وهو الذي يظهر من الروايات، ولا ينافي استناد المرض ونحوه إلى الشيطان استناده أيضا إلى بعض الاسباب العادية الطبيعية لان السببين ليسا عرضيين متدافعين بل أحدهما في طول الآخر[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾

س – ما وجه نسبة اليد إلى الله تعالى وهو ليس بجسم ولماذا قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٤﴾

ج – المراد باليد القوة وفي بعضها النعمة وفي بعضها الجود وقد تثنى مبالغة في معنى الجود والانعام لأن ذلك أبلغ فيه من أن يقول بل يده مبسوطة وجمعها للمبالغة في المعنى التي جرت عليه وسيقت لأجله.

قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾

(١) تفسير الميزان – السيد الطباطبائي ج ١٧ ص ٢٠٩ .

س - ما معنى قوله: ﴿خلقاً من بعد خلق﴾ وما هي الظلمات الثلاث؟ وما هي النظرة العلمية لهذه الآية؟

ج - قوله: ﴿خلقاً من بعد خلق﴾، معناه نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً ثم ينشئ خلقاً آخر. وأما الظلمات الثلاث فهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة.

وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ظلمة الليل، أو ظلمة صلب الرجل، وظلمة الرحم، وظلمة البطن [1].

اما النظرة العلمية: فقد دلت الابحاث في علم الأجنة أنه وقت تكوين الجنين في أرحام الامهات تنشأ البويضة في أحد مبيضي المرأة حتى إذا اكتمل نضجها انطلقت منه فيتلقفها أحد بوقي فالوب وهو اسم العالم الذي اكتشف هذين البوقين ثم تمضي إلى الرحم وتبدأ مراحل التطور، وفى الرحم يمضي الجنين بقية مدة الحمل حتى يكون لنفسه الاغلفة الثلاثة التي تحيط به، ويقرر العلم في تفسير الظلمات الثلاث أنها المبيض وقناة فالوب والرحم لانها تقع في مواضع متفرقة، أما تفسيرها بأنها البطن والرحم والمشيمة فهي تعتبر ظلمة واحدة لانها في مكان واحد، وهكذا نرى القرآن قد أومأ إلى هذه الحقائق في وقت لم يكن العلم قد عرفها، فهل لهؤلاء المكذبين للقرآن ورسالة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله أن يراجعوا أنفسهم ويؤمنوا

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٨ ص ٣٨٧ .

بالله الواحد الاحد منزل القرآن معجزةً من لدنه ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً[1].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

س - لمَ ذكر الضمير في ﴿اوتيته﴾، وهو للنعمة وكيف ذكر الضمير ثم انثه.

ج - لأنّ (ما) بمعنى (الذي) اي انها موصولة وليست كافة. وأنّث الضمير في قوله تعالى: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ لأنه اراد به النعمة والفتنة والابتلاء.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

س - في هذه الآية إيهام انه سبحانه له جسم وله يد؟ واذا لم يكن كذلك فما هو التفسير الصحيح لهذه الآية؟

ج - أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن كمال قدرته فذكر أن الارض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه فيكون في قبضته لأنا نقول: هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه والمراد بقوله:

(١) القرآن وإعجازه العلمي- محمد اسماعيل ابراهيم ص ١٠٤ .

﴿مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِۦٓ﴾ مطويات بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك، كما قال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ﴾ أي ما كان تحت قدرتكم.

وقد روي عن أبي الحسن العبدي عن سليمان بن مهران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَتُ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِۦٓ سُبْحَنَهُۥ وَتَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ فقال: يعني ملكه، لا يملكها معه أحد، والقبض من الله تعالى في موضع آخر المنع والبسط منه الاعطاء والتوسع، كما قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ،يعنى يعطي ويوسع ويمنع ويضيق، والقبض منه عز وجل في وجه آخر الاخذ، والاخذ في وجه القبول منه، كما قال: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَتِ﴾، أي يقبلها من أهلها ويثيب عليها، قلت: فقوله عز وجل: ﴿وَالسَّمَوَتُ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِۦٓ﴾ ؟ قال: اليمين اليد واليد القدرة والقوة، أي بقدرته وقوته ﴿سُبْحَنَهُۥ وَتَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِالْبَيِّنَتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

س – لم قال: ﴿بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، وهو نبي صادق ولا

(١) تفسير نور الثقلين – الشيخ الحويزي ج ٤ ص ٥٠٠ .

يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه؟

ج - انما قال: ﴿بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾، لأنه توعدهم أموراً مختلفة منها الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فيكون هلاكهم في الدنيا بعض ما توعدهم به والهلاك في الدنيا عقوبة مستعجلة ولا طاقة لكم عليها فكيف لكم بعذاب الآخرة ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾

س - كيف ضمن الله الاجابة وتكفل بها وانا نرى من يدعو فلا يجاب ومثل هذه الآية قوله تعالىٰ في سورة البقرة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وما هي شروط الدعاء؟

ج - الدعاء خشوع وخضوع وتضرع وتوسل ورجاء، ومائدة روحية يجتمع حولها الأنبياء والصالحون حيث تسمو النفوس المؤمنة إلى مقام القرب من الله حيث معراج الروح البشرية إلى رحاب النور. وان لاجابة الدعاء شروطاً منها الاخلاص لله سبحانه في الدعاء وان يكون الداعي طاهر السريرة مطيعاً له تعالى وان يكون المطلوب مما يرضي الله وأن لا يعلم الله منه خبث النية وسوء السريرة وان يكون مستقيماً بينه وبين ربه وان يقبل على الله بالدعاء وقد تاب مما جنته يده الاثيمة وفرط في جنب الله إلى غير ذلك ولقد جاء رجل إلى الامام الصادق عليه السلام

فقال له: سيدي أكان الله مخلف وعده قال: كلا قال: فما بالنا ندعوه في الليل أكثر منه في النهار ثم لا يستجيب لنا وهو القائل ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فقال ﷺ: طهروا قلوبكم قبل أن تواجهوا بها ربكم.

وبالعودة الى الآية الكريمة وتفسيرها ففي ذلك وجوه: أولها أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل: دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده.

وأنشد ابن الاعرابي:

دعوتُ اللهَ حتى خفتُ أن لا يكون اللهُ يسمع ما أقولُ

أراد يجيب ما أقول.

وثانيها أنه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد انني قريب باجابتي ومعونتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخفَ عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيد للقرب فكأنه أراد إنني قريب قرباً شديداً وإنني بحيث لا يخفى علي أحوال العباد كما يقول القائل إذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله: أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى وقد روي أن قوماً سألوا الرسول ﷺ فقالوا له: ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنني أجيب دعوة الداعي إذا

دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لانه ان كان صلاحاً فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضاً مجاب إلى دعائه .

ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني وتكون الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه قال: إنني أثيب العباد على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه .

وخامسها ما قاله قوم من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه إليه وان لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاح وخير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال.

وسادسها انه تعالى إذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب دعاؤه وإما أن يخاب له بصرفه عما سأل ودعا فحسن اختيار الله له يقوم مقام الاجابة فكأنه يجاب على كل حال وهذا الجواب ضعيف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاح ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لأمر يرجع إليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لا يرجع إليه منه شيء من الصلاح اللهم إلا أن يقال انه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهذا مما تقدم ومعنى قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، أي فليجيبوني وليصدقوا رسلي .

قال الشاعر:

وداعٍ دعا يا من يجيبُ إلى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ

فقلت ادع أُخرى وارفع الصوت ثا
نياً لعل أبا المغوار منك قريب[1]

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

س - لماذا قال لتركبوا منها ولم يقل لتركبوها كما جاء في سورة النحل ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

ج ـ الانعام هي الخيل والحمير والبغال والابل والبقر والغنم وهي قسمان قسم للركوب وقسم للأكل فكأنه قال: لتركبوا قسماً منها وهو الخيل والحمير والبغال والابل وقسماً من الانعام تأكلون وهو الابل والبقر والغنم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

س - لماذا عدى﴿استوى﴾ بـ﴿الى﴾ كما في هذه الآية وكذلك في سورة البقرة قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾، وعداها بـ﴿على﴾ في سورة الرعد بقوله

(١) الأمالي - السيد المرتضى ج ٣ ص ٥٩ .

تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)﴾.

ج - استوى على العرش معناه استقر ملكه واستقام سلطانه وهذا كثير في كلام العرب كقولهم: استوى الملك على عرشه إذا انتظمت أمور مملكته. وأما ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾، فمعناه قصد وتوجه إلى خلق السماء وإيجادها.

وفي ذلك نقول إنه سبحانه وتعالى في الآية الاولى كانت ﴿استوىٰ﴾ بمعنى (استقر) واما في الآية الثانية فـ ﴿استوىٰ﴾بمعنى (خلق) او (أوجد).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾

س - كيف جاز أن يقول للسماء والارض: ﴿ائتيا﴾، وما معنى قوله: ﴿طوعاً أو كرهاً﴾، وكيف صح اسناد القول لهما بقوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾، وهما من الموجودات التي لا يصح توجيه الخطاب لها ولا يعقل حصول الجواب منها.

ج - لم يكن هناك أمر لانه تعالى لا يأمر المعدوم، وإنما هو إخبار عن تسهيل الفعل[1].

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٥ ص ١٧ .

وقال بعض المفسرين: قوله تعالى: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ هوتمثيل لتأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها بأمر المطاع، وإجابة المطيع الطائع، كقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، أو هو نوع من الكلام باطناً من دون حرف ولا صوت [1].

قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

س - إنه يظهر من هذه الآية ومما قبلها من الآيات أن السماوات والارض خلقها الله في ثمانية أيام فانه قال في سورة فصلت: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾، وتبعها في قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴿١٢﴾﴾ فهذه ثمانية أيام وهذا منقوض في سبعة مواضع من القرآن بما معناه أنه سبحانه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام لا ثمانية إذ يقول في سورة الحديد ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ وفي سورة الاعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ وفي سورة يونس ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ

(١) التفسير الأصفى - الفيض الكاشاني ج ٢ ص ١١١١ .

عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾» وفي سورة هود «وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» .

ج - ليس ذلك مناقضة وليس الامر على ما تظن لان ذلك يجري مجرى قول القائل: سرنا من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وسرنا إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً فالعشرة داخلة في الخمسة عشر ولا يضاف فيقال: عشرة، وخمسة عشر خمسة وعشرون يوماً كان فيها السير، فكذلك خلق الله الارض في يومين وقضاهن سبع سماوات في يومين وتمم خلقهن في ستة أيام . وتقديره خلق الارض في يومين من غير تتميم وجعل فيها رواسي وما تم به خلقها في أربعة أيام فيها اليومان الاولان كما يقال: جعل الدور في شهرين وفرغ منهن في أربعة أشهر. فيكون المحكم قد أبان عن معناه أنه على جهة خلق الارض في يومين من غير تتميم، وليس على وجه التضاد على ما ظنوه. فان قيل: كيف يكون المحكم حجة مع جواز تقييده بما في العقل؟ وفي ذلك إمكان كل مبطل أن يدعيه فتذهب فائدة الاحتجاج بالمحكم؟ قلنا: لا يجب ذلك من قبل أن التقييد بما في العقل إنما يجوز فيما كان رداً إلى تعارف من جهة العقول دون ما لا يتعارف في العقول بل يحتاج إلى مقدمات لا يتعارفها العقلاء من أهل اللغة، والمراعى في ذلك أن يكون هناك تعارف من جهة العقل تقتضيه الحكمة دون عادة أو تعارف شيء لان الحجة في الاول دون الثاني، ومن جهة التباس ذلك دخل

الغلط على كثير من الناس[1].

وقد روي عن عبد الله بن سنان قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: ان الله خلق الخير يوم الاحد، وما كان ليخلق الشر قبل الخير وفي يوم الاحد والاثنين خلق الارضين، وخلق اقواتها يوم الثلاثاء، وخلق السموات يوم الاربعاء ويوم الخميس وخلق اقواتها يوم الجمعة، وذلك قول الله عزوجل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٥٤)﴾

س- لم خلق تعالى السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام، مع انه قادر على خلقها في لحظة واحدة.

ج - انما جرى في ذلك مجرى المتعارف في ايجاد الامور بين الناس ولكنه كلما أوجد شيئاً أوجده بالقدرة القاهرة، وانما تدرج في الايجاد ورتب الحوادث ليكون ادل على ان الموجد عالم بصير مدبر، يصرفها على اختياره ويجريها على مشيئته، ونظير ذلك من يخيط ستة أثواب في ستة أيام كل يوم يخيط ثوباً واحداً في ربع ساعة ثم يطوي نهاره بلا عمل إلى اليوم الثاني

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٣٩٧، وتفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج٢ص٣٣٧ .

(٢) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج ٥ ص ٩ .

فيخيط فيه الثوب الثاني في مثل ما خاط به الاول من الوقت وهكذا فيصح أن يقال خاط الستة أثواب في ستة أيام.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

س - يظهر من هذه الآيات المذكورة ان خلق السماوات كان بعد خلق الارض ولكنه منقوض بقوله تعالى في سورة النازعات آية ٢٧: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السماءُ بَنَاها﴾، وآية ٣٠: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾؟ فما وجه هذا التوهم؟

ج - لقد نشأ هذا التوهم من تفسير ﴿دحاها﴾ بأنشأها وخلقها، وليس كذلك بل المراد منها مهدها وأعدها للسكنى ويكون قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها حالاً من الهاء في دحاها، أي مهدها وأعدها للسكنى حالة كونها مخرجاً منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها، أي ثبتها في محالها، ولو اعتمدنا على الهيئة الجديدة لفهمنا من قوله ﴿دحاها﴾ انه سخرها للحركة الأينية في الدوران حول الشمس بعد أن خلق الشمس في جملة السماوات وأودع فيها القوة الجاذبية.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

س – هلا قيل إلا مودة القربى، أو المودة للقربى، وما معنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ وما هو سبب نزول هذه الآية؟

ج – هو كقولك: لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد، تريد بقولك هذا أحبهم وهم مكان حبي والمعنى إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها، ولقد روى الخاصة والعامة انها نزلت في علي وفاطمة والحسنينعليهم السلام.

وفي عيون الاخبار في باب ذكر مجلس الرضاعليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والامة كلام طويل للرضاعليه السلام وفيه: حدثني ابي عن جدي عن آبائه عن الحسين بن عليعليه السلام قال: اجتمع المهاجرون والانصار إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله فقالوا: ان لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود، وهذه اموالنا مع دمائنا فاحكم فيها باراً مأجوراً، اعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج، قالعليه السلام: فأنزل الله تعالى إليه الروح الامين فقال: يا محمد ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، يعنى أن تودوا قرابتي من بعدي، فخرجوا فقال المنافقون: ما حمل رسول اللهصلى الله عليه وآله على ترك ما عرضنا عليه الا ليحثنا على قرابته من بعده، وان هو الا شيء افتراه في مجلسه، وكان ذلك من قولهم عظيماً، فأنزل الله عزّ وجل هذه الآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ فبعث إليهم النبيصلى الله عليه وآله فقال: هل من حدث ؟ فقالوا: أي والله يا رسول الله، لقد قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه فتلا عليهم رسول اللهصلى الله عليه وآله الآية، فبكوا واشتد بكاؤهم فأنزل الله

تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

س - ما وجه نصب ﴿ويعلم﴾، وما قبلها مجزوم.

ج - النصب إنما كان للعطف على تعليل محذوف، فكأنه قال: لينتقم منهم وليعلم الذين يجادلون في آياتنا.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾

س - قد علم أن رسول الله(ص) ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه، فما معنى قوله: ﴿ولا الايمان﴾، ويظهر من الآية ان الرسول(ص) لم يكن مؤمناً قبل البعثة وهذا واضح البطلان.

ج - المراد بالكتاب القرآن، وبالايمان التصديق بالله تعالى وبرسوله معاً، فالنبي ﷺ مخاطب في الايمان بالتصديق برسالة نفسه، كما أن أمته مخاطبون بتصديقه، ولا شك أنه قبل البعث لم يكن يعلم انه رسول الله وما علم ذلك إلا بالوحي وحينئذ

(١) جامع البيان - ابن جرير الطبري ج ١ ص ٢٤٦.

يستقيم نفي الايمان بالمعنى المركب من التصديق بالله والتصديق برسوله، وليس المراد من الايمان التصديق بالله فقط حتى يتوجه الاعتراض.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾

س - السر هو النجوى، فما وجه العطف والعطف يقتضي المغايرة.

ج - السر ما حدّث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خالٍ والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم. يقول تعالى ذكره: ﴿ونجواهم﴾ إذا تناجوا بينهم بالطعن في الاسلام وأهله وذكروهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به، فيحذروا من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وعيبهم للاسلام وأهله، فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه . وإن الله علام الغيوب يقول: ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وابصارهم وحواسهم مما أكنته نفوسهم، فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة، فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه (١).

قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩)﴾

(١) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج ٥ ص ١٢٠ .

س - كيف ينفي البكاء عن السماء والارض، وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما.

ج. أراد أهل السماء والارض، فحذف كما حذف في قوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، أي أهل القرية وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، أراد أصحاب الحرب ومن هذا القبيل قول الحطيئة:

وشر المنايا ميت وسط أهله

كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره

أراد شر المنايا ميتة ميت.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي ومدة حمله وفصاله.

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

س - كيف صح أن يؤمر بالاستغفار لذنبه، والذنب لا يجوز عليه.

ج - الخطاب له والمراد به أمته، وإنما خوطب بذلك لتستن به امته، وليكون مثال خير لمن بعده.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾

س - لماذا حذف المفعول هنا، وما معنى ﴿بين يدي الله﴾.

ج - حذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم، وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن يجلس بين الجهتين المتاخمتين بيمينه وشماله قريباً منه، فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعاً، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه في غير موضع، وقد جرت هذه العبارة على سنن ضرب من المجاز، وهو الذي يسميه علماء البيان تمثيلاً ولها فائدة جليلة، وهي تصوير الشناعة والهجنة فيما نهوا عنه، من الاقدام على أمر من الامور، دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة، والمعنى لا تقطعوا أمراً إلاّ بعدما يحكمان به، ويأذنان فيه.

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)﴾

س - ما الفرق بين هذه العناوين الثلاثة ﴿الكفر والفسوق والعصيان﴾

ج - الكفر غمط النعم بالجحود، والفسوق الخروج عن قصد الايمان بركوب الكبائر وهي التي توعّد عليها بالنار في الكتاب والسنة، والعصيان ترك الانقياد والمضي لما أمر به الشارع.

قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)﴾

س – ما الذاريات، والحاملات، والجاريات، والمقسمات؟ ولماذا أقسم بها الله سبحانه وتعالى؟

ج – الذاريات الرياح تذرو التراب وهشيم النبت أي تفرقه، ﴿فالحاملات وقراً﴾، هي السحاب تحمل ثقلاً من الماء من بلد إلى بلد فتصير موقرة به، ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ③﴾، هي السفن تجري ميسّرة على الماء جرياً سهلاً إلى حيث سيرت ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ④﴾، هي الملائكة تقسم الامور بين الخلق، وانما اقسم سبحانه بهذه المذكورات، لكثرة ما فيها من المنافع للعباد، ولما تضمنته من الدلالة على وحدانيته وبدائع صنعه.

وقد روي عن ابن الكوا انه سأل أمير المؤمنين عليه السلام: ما معنى ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ①﴾؟ قال: الريح، وعن ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ②﴾، فقال: هي السحاب وعن ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ③﴾، فقال: اي السفن وعن المقسمات امرا فقال: الملائكة، وهو قسم كله وخبره ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ⑤﴾ ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ⑥﴾ يعنى المجازاة والمكافاة[1].

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ⑦﴾

س – ما معنى ﴿الحبك﴾:

ج – روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسين بن خالد

(١) التبيان – الشيخ الطوسي ج ٩ ص ٤٧٣ .

عن أبي الحسن الرضاعليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن قول الله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾ فقالعليه السلام: محبوكة إلى الارض وشبك بين أصابعه، فقلت: زدني أيضاً فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال: هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة، والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة، والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة، ثم هكذا إلى الارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة، وعرش الرحمن فوق السماء السابعة، وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۝١٢﴾ ومثلها في الدلالة قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝٣﴾، وفي هذه دلالة واضحة على أن الارضين سبع كالسماوات. وعطف الارض على السماوات في كثير من الآيات، من باب اطلاق المفرد وارادة الجمع، وهذا كثير في القرآن وفي كلام العرب.

قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾

س - لماذا رفع ﴿تزر﴾ والوجه النصب بـ ﴿أن﴾ المدغمة نونها باللام.

ج - أن هذه مخففة من المثقلة، والمعنى: انه لا تزر، والضمير ضمير الشأن.

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾

س - ما فائدة تكرير هاتين الآيتين، وما النكتة في تقديم العذاب على النذر مع أنه لا عذاب قبل النذر، لقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

ج - فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الاولين اذكاراً واتعاظاً، وان يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير في قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن، وكذلك تكرار الانبياء والقصص لتكون العبر حاصلة في القلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان والنكتة في تقديم العذاب مناسبة رؤوس الآيات وليكون تقديم العذاب أوقع في التحذير وابلغ في التخويف.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾

س - ما وجه اختلاف الآيات فيما خلق منه الانسان، فانه ذكر هنا ما عرفت وذكر في سورة الحجر قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى

ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾، وقوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾، الى غير ذلك من الآيات؟

ج – هو متفق في المعنى، ومفيد انه خلقه من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً، كما لو قلت: جعلت خبزاً من العجين ثم قلت: جعلت خبزاً من الطحين فانه لا منافاة.

قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾

س – الفراغ لا يكون إلا من شغل، والله سبحانه لا يشغله شأن عن شأن ما معنى هذه الآية؟ وماذا يقصد بـ ﴿الثقلان﴾؟

ج – الفراغ في اللغة على ضربين:

الأول: القصد يقال سأفرغ لفلان: سأجعله قصدي.

الثاني: الفراغ من الشغل.

والاول هو المراد بالآية، أي سنقصد لحسابكم أيها الانس والجن. وقيل في معناه قولان:

الاول: سنفرغ لكم من الوعيد وينقضي ويأتيكم المتوعد به

فشبه ذلك بمن فرغ من شيء وأخذ في غيره .

الثاني: إنا نستعمل عمل من يتفرغ للعمل لتجويده فيه كما يقول القائل: سأتفرغ لك . والله تعالى لا يشغله شيء عن شيء، لانه من صفات الاجسام، وهو من أبلغ الوعيد لانه يقتضي أن يجازى بصغير ذنبه وكبيره إذا كان مستحقاً لسخط الله

والشغل والفراغ من صفات الاجسام التي تحلها الاعراض، وشغلها عن الاضداد في تلك الحال ولذلك وجب ان يكون في صفة القديم تعالى مجازاً. وقوله: ﴿أيها الثقلان﴾، ما هو الا خطاب للجن والانس، وإنما سميا ثقلين لعظم شأنهما بالاضافة إلى ما في الارض من غيرهما، فهما أثقل وزناً لعظم الشأن بالعقل والتمكين والتكليف لأداء الواجب في الحقوق، ومنه قول النبيﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، يريد عظيمي المقدار، فلذلك وصفهما بأنهما ثقلان [1].

قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾

س - النخل والرمان من الفواكه فلماذا فصلا بالواو.

ج - انما فصلا بالواو لفضلهما، والعرب تذكر الاشياء جملة ثم تختص شيئاً منها بالتسمية، تنبيهاً على الفضل.

وهو إخبار منه تعالى أن في الجنتين المتقدم وصفهما

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ٩ ص ٤٨٤ .

﴿فاكهة﴾ وهي الثمار ﴿ونخل ورمان﴾ وإنما افرد ذكر النخل والرمان من الفاكهة، وإن كان من جملتها تنبيهاً على فضلهما وجلالة النعمة بهما، كما أفرد ذكر جبرائيل وميكائيل في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، وقال قوم: ليسا من الفاكهة بدلالة الآية. وليس له في ذلك حجة، لاحتمال ما قلناه.

قال يونس النحوي: النخل والرمان من أفضل الفاكهة، وإنما فضلا لفضلهما [1].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: الفاكهة مائة وعشرون لوناً سيدها الرمان. وعنه عليه السلام: خمس من فواكه الجنة في الدنيا الرمان الامليسي والتفاح الشيسقان والسفرجل والعنب الرازقي والرطب المشان [2].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

س - ما وجه عطف ﴿الايمان﴾ على ﴿الدار﴾ والمعنى تبوّأوا الدار وتبوّأوا الايمان، ولا يقال تبوّأوا الايمان.

ج - معناه تبوّأوا الدار واخلصوا الايمان، وهو كقول الاعرابي: علفتها تبناً وماءاً بارداً، أي واسقيتها ماءاً بارداً ومثل هذا قول الشاعر:

(١) التفسير الصافي - الفيض الكاشاني ج ٥ ص ١١٥ .

(٢) تفسير فرات الكوفي- فرات بن إبراهيم الكوفي ص ٤٨٤ .

إذا مـا الـغـانـيـاتُ بـرزن يـومـاً
وزجـجـن الحـواجـب والـعـيـونـا

أي وكحلن العيونا.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

س - كيف قال ﴿إليها﴾ وقد ذكر شيئين هما اللهو والتجارة والوجه أن يقول إليهما، ولمَ قدم التجارة على اللهو في صدر الآية وأخرها في ذيلها؟ وما هو سبب نزول هذه الآية؟

ج - أما عن الشق الأول في السؤال فلأن التقدير: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه فحذف من احدهما لدلالة المذكور عليه، وأما عن الشق الثاني فإنه إنما قدم التجارة في صدر الآية لفرط محبتهم لها على الصلاة وقدم اللهو في ذيل الآية لمزيد مبغوضية الله له ومزيد عنايتهم به حتى آثروه على الصلاة الواجبة.

أما عن سبب نزول هذه الآية فقد روي عن السدي قال: مر دحية الكلبي بتجارة له من الشام من طعام وغيره وكان التجار قد أبطأوا عن المدينة فأصابهم لذلك جهد فبينما رسول الله ﷺ يخطب الناس في المسجد يوم الجمعة إذ قدمت العير فانفض الناس إليها وتركوا النبي ﷺ[1].

(١) التفسير الصافي - الفيض الكاشاني ج ٥ ص ١٧٦ .

وفي المجمع عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت عير ونحن نصلي مع رسول اللهﷺ فانفض الناس إليها فما بقي غير اثني عشر رجلاً أنا فيهم فنزلت الآية.

وفي رواية قالﷺ: والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً[1].

اما المعنى العام للآية فقيل: إيجاب صلاة الجمعة وتحريم البيع عند حضورها وفيها عتاب لمن انفض إلى اللهو والتجارة عند ذلك واستهجان لفعلهم. والجمعة بضمتين أو بالضم فالسكون أحد أيام الاسبوع وكان يسمى أولاً يوم العروبة ثم غلب عليه اسم الجمعة، والمراد بالصلاة من يوم الجمعة صلاة الجمعة المشرعة[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾

س - الوجه أن يقول هي العدو! فلماذا قال تعالى ﴿هم﴾؟

ج - هناك مضاف محذوف تقديره يحسبون أهل كل صيحة فقوله هم راجع إلى (أهل) المحذوف الذي دل عليه الكلام.

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٩١ ص ٢٧٣ .
(٢) المصدر السابق ج ٩١ ص ٣١٢ .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)﴾

س. لماذا وحّد الخطاب بقوله: ﴿يا أيها النبي﴾ ثم جمع بقوله، إذا طلقتم النساء.

ج - ليعلم أن الخطاب للأمة، وإنما ابتدا تعالى بخطاب النبي ﷺ قبل خطابها، لأنه المؤدي عنه إليها، والسفير بينه وبينها، والشهيد له عليها. وقد بدئ الخطاب بنداء النبي ﷺ لانه الرسول إلى الامة وإمامهم فيصلح لخطابه أن يشمله وأتباعه من أمته وهذا شائع في الاستعمال يخص مقدم القوم وسيدهم بالنداء ويخاطب بما يعمه وقومه فلا موجب لقول بعضهم: إن التقدير يا أيها النبي قل لأمتك [1].

قال تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾

س - أين خبر ﴿واللائي لم يحضن﴾.

ج - تقديره واللائي لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ١ ص ٥٥ .

وحذف لدلالة الكلام الاول عليه.

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

س - لماذا قال من ﴿القانتين﴾، ولم يقل من القانتات.

ج - إنما لم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث، فكأنه قال: من القوم القانتين، والقانت المقيم على طاعة الله.

وقيل: معناه الداعي لله في كل حال.

وروي عن النبيﷺ انه قال: حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمدﷺ[1].

قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾

س - لم رفع ﴿فيدهنون﴾، ولم ينصب باضمار.(إن) وهو جواب التمني.

ج - رفع لأنه جعل خبر مبتدأ محذوف، أي فهم يدهنون، كقوله تعالى في سورة الجن ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾، أي فهو لا يخاف.

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج١ ص ٨١ .

س – الوجه أن يقال (إلى حرثكم)؟ وما معنى صارمين؟ وما هو سبب نزول هذه الآية؟

ج – لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه، كان غدوّاً عليه، كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يراد بالغدو الاقبال، أي أقبلوا على حرثكم.

اما معنى صارمين فقيل: أي قاطعين لثماركم، فالصارم قاطع ثمر الشجر على الاستئصال. واكثر ما يستعمل ذلك في النخل، ويجوز في الشجر، وأصله القطع. وقد تصرم النهار إذا مضى قطعة قطعة حتى انقضى.

وقيل: معناه إن كنتم حاصدين زرعكم.

وعن ابن عباس أنه قيل له: إن قوماً من هذه الأمة يزعمون أن العبد قد يذنب الذنب فيحرم به الرزق فقال ابن عباس: فوالذي لا إله غيره لهذا نور في كتاب الله أنور من الشمس الضاحية ذكره الله في سورة ن والقلم. إن شيخاً كانت له جنة وكان لا يدخل بيته ثمرة منها ولا إلى منزله حتى يعطي كل ذي حق حقه فلما قبض الشيخ ورثه بنوه وكان له خمس من البنين فحملت جنته في تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملاً لم تكن حملت قبل ذلك فراحوا الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر فأشرفوا على ثمر ورزق فاضل لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا وقال بعضهم لبعض: إن أبانا كان شيخاً كبيراً قد ذهب عقله وخرف فهلموا فلنتعاقد عهداً فيما بيننا أن لا نعطي أحداً من فقراء المسلمين في

عامنا هذا شيئاً حتى نستغني وتكثر أموالنا ثم نستأنف الصنعة فيما يستقبل من السنين المقبلة فرضي بذلك أربعة وسخط الخامس وهو الذي قال الله فيه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فقيل: يابن عباس كان أوسطهم في السن؟ فقال: لا بل كان أصغر القوم سناً وكان أكبرهم عقلاً وأوسط القوم خير القوم قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، فقال لهم أوسطهم: اتقوا الله وكونوا على منهاج ابيكم تسلموا وتغنموا فبطشوا به فضربوه ضرباً مبرحاً فلما أيقن الاخ أنهم يريدون قتله دخل معهم في مشورتهم كارهاً لامرهم غير طائع فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله أن يصرموا إذا اصبحوا ولم يقولوا إن شاء الله فابتلاهم الله بذلك الذنب وحال بينهم وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه فأخبر عنهم في الكتاب وقال ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧-٢٠] قال: كالمحترق، فقيل لابن عباس: ما الصريم، قال: الليل المظلم، ثم قال: لا ضوء به ولا نور فلما أصبح القوم ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [القلم: ٢١-٢٣] قيل: وما التخافت يا ابن عباس، قال: يتسارون يسار بعضهم بعضاً لكيلا يسمع أحد غيرهم، فقالوا: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القلم: ٢٤-٢٥] وفي انفسهم أن يصرموها ولا يعلمون ما قد حل بهم من سطوات الله ونقمته، فلما رأوها وعاينوا ما قد حل بهم، قالوا: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [القلم: ٢٦-٢٧] فحرمهم الله ذلك الرزق بذنب كان منهم ولم يظلمهم شيئاً[1].

---

(١) التفسير الصافي - الفيض الكاشاني ج ٥ ص ٢١٢ .

قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾

س - ما هو ﴿الغسلين﴾، ولم جعل طعامهم الغسلين هنا، وفي سورة الواقعة جعل طعامهم ﴿الزقوم﴾، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢﴾ [الواقعة: ٥١-٥٢].

ج - الغسلين هو صديد أهل النار وما يجري منهم. يقول جل ثناؤه: ولا له طعام كما كان لا يحض في الدنيا على طعام المسكين، إلا طعام من غسلين، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: كل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين، فغسلين من الغسل من الجراح والدبر، وزيد فيه الياء والنون بمنزلة عفرين . هكذا قال أهل التأويل ومنهم ابن عباس.

وقد قال ابن عباس أيضاً: قوله ولا طعام إلا من غسلين قال: ما يخرج من لحومهم. وعن قتادة، قوله: ولا طعام إلا من غسلين شر الطعام وأخبثه وأبشعه. وعن ابن زيد، في قوله: ولا طعام إلا من غسلين قال: الغسلين والزقوم لا يعلم أحد ما هما.

الضريع هو نوع من الشوك، يقال له الشبرق، وهو أخبث طعام وأبشعه لا ترعاه دابة، وشجر الزقوم شجرة في النار يقتاتها أهل النار، لها ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الرائحة، وقد جاء في سورة الصافات: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤﴾، واما اختلاف التعبير انما هو لاختلاف طبقات أهل النار، فمنهم من طعامه غسلين،

ومنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الضريع [١].

قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

س - كيف قال تعالى: ﴿ويؤخركم﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل، بقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾، وهل هذا إلا تناقض؟ وما هو بيان ذلك؟

ج - إن في ذلك مثلاً فقد قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمَّرهم ألف سنة، وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة، فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى، أي إلى وقت سماه الله وضربه أمداً تنتهون إليه، لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف، ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة، فبادروا في أوقات الامهال والتأخير إلى التوبة. وهي اشارة إلى برهان النبوة التي انكروها بقولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به يريدون به دين الرسل والشريعة السماوية بالوحي. وبيان ذلك ان من سنته تعالى الجارية هداية كل شيء إلى كماله وسعادته النوعية والانسان احد هذه الانواع المشمولة للهداية الالهية فمن الواجب في العناية الالهية ان يهتدي إلى سعادة حياته ولكن له حياة خالدة غير محدودة بالدنيا ولا منقطعة بالموت وسعادته في

(١) جامع البيان - ابن جرير الطبري ج ٩٢ ص ٨٠ .

الحياة ان يعيش في الدنيا عيشة مطمئنة على اساس تعديل قواه في التمتع من امتعة الحياة من مأكول ومشروب ولباس ونكاح وغير ذلك وهي الاعمال الصالحة، وفي الآخرة ان يعيش على ما اكتسبه من الاعتقاد الحق والعمل الصالح. وهو وإن كان مجهزاً بفطرة تذكره حق الاعتقاد وصالح العمل لكنه مجبول من جهة أخرى على العيشة الاجتماعية التى تدعوه إلى اتباع الاهواء والظلم والفسق فمجرد ذكرى الفطرة لا يكفي في حمله على سنة حقة عادلة تحصل له الاستقامة في الاعتقاد والعمل والا لم يفسد المجتمع الانساني ولا واحد من اجزائه قط وهم مجهزون بالفطرة . فمن الواجب في العناية ان يمد النوع الانساني مع ما له من الفطرة الداعية إلى الصلاح والسعادة بأمر آخر تتلقى به الهداية الالهية وهو النبوة التي هي موقف انساني طاهر ينكشف له عنده الاعتقاد الحق والعمل الصالح بوحي إلهي وتكليم غيبي يضمن اتباعه سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة .

اما سعادة الدنيا فلما تقدم ان بين المعاصي والمظالم وبين النكال والعقوبة الالهية التى تنتهي إلى الهلاك ملازمة فلو لم يفسد المجتمع وداموا على الصلاح الفطري لم يختر منهم الهلاك ولم يفاجئهم النكال وعاشوا ما قدر لهم من الآجال الطبيعية والعيشة المغبوطة . واما سعادة الآخرة فلأن اتباع الدعوة الالهية وبعبارة اخرى الايمان والتقوى يحليان النفس بالهيئة الصالحة ويذهبان بدرن النفس الذي هو الذنوب بمقدار الاتباع . فربوبيته تعالى لكل شيء المستوجبة لتدبيرها احسن تدبير وهدايته كل نوع إلى غايته السعيدة تستدعي ان تعنى بالناس بإرسال رسل منهم إليهم ودعوته الناس بلسان رسله إلى الايمان والعمل الصالح ليتم بذلك سعادتهم في الدنيا

والآخرة اما في الدنيا فبالتخلص عن النكال والعقوبة القاضية عليهم واما في الاخرة فبالمغفرة الالهية بمقدار ما تلبسوا به من الايمان والعمل الصالح (١).

قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾﴾

س - لماذا قال ﴿منفطر به﴾، ولم يقل منفطرة به.

ج - معناه ذات انفطار كما يقال امرأة مطفل أي ذات إطفال ومرضع ذات رضاع، فيكون على طريق النسبة.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾﴾

س - ما المراد من هذه الاسماء، وما وجه القسم بها؟ وما هي النظرة العلمية لتلك الاسماء؟

ج - ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾﴾، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾﴾، يعني الرياح الشديدات الهبوب، والعصوف مرور الريح بشدة ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾﴾، هي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشراً للغيث كما تلقحه للمطر، ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾﴾، يعني الملائكة، تلقي الذكر إلى الأنبياء

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٢١ ص ٢٧ .

وتلقيه الانبياء إلى الامم، واقسم بهذه الاشياء تنبيهاً على عظم موقعها[1].

وقد أقسم الله بالآيات المنزلة على لسان جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله بالعرف والخير وبالآيات القاهرات سائر الاديان الباطلة تنسفها نسفاً، وبالآيات الناشرات للحكمة والهداية في قلوب العالمين نشراً عظيماً، وبالآيات الفارقات بين الحق والباطل فرقاً واضحاً وبالآيات الملقيات على الناس تذكرة تنفعهم - إعذارا لهم أو إنذاراً- فلا تكون لهم حجة فإن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لنازل حتماً ولا ريب فيه.

اما النظرة العلمية: يرى العلم بتفسيره العصري أن هذه الآيات قد يكون فيها وصف واقعي دقيق ينطبق على الطائرات الحربية الحديثة بمختلف حركاتها وبجميع أفعالها فهي تعصف بقنابلها المدمرة وتترك الناس كالعصف المأكول، وفي أثناء قيامها بذلك تنشر المنشورات وتلقيها على الجنود وعلى غيرهم في ميادين الحرب وعلى الاهالي والسكان المدنيين للإخبار عما تريده الدولة المحاربة، وتفرق بصولتها الجبارة بين الكتائب والفصائل والتجمعات فرقاً بحيث لا يستقر تحتها شيء ولا يثبت أي جمع بل أنه بمجرد رؤيتها يتفرق الناس ويختفون في الكهوف والملاجئ والمخابئ، فالملقيات ذكراً يعني ما تذكره وما تقصده من أعمال في منشوراتها عذراً تعتذر به عن إلقاء الدمار والتخريب على الاماكن البريئة كالمساجد والمعابد والمستشفيات، أو نذراً أي إنذاراً للاعداء ومطالبتهم بالخضوع والاذعان والتسليم، وهذه النظرة العصرية قد يكون فيها فكرة عن

---

(١) مجمع البيان ج٢٩ ص٢٢٨ .

امتداد معاني الآيات إلى عصورنا والله سبحانه أعلم بمراده، وإنما هذه محاولة قد يكون فيها رأي صحيح أو غير صحيح وقد أوردناها مثلاً من الامثلة التي تخطر لبعض المفكرين في عصرنا [١].

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾

س - ما المراد بـ ﴿النبأ العظيم﴾.

ج - هو القرآن العظيم الشأن، لأنه ينبيء عن التوحيد، وتصديق الرسول.

وفي الخبر عن أحمد بن هوذة، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن هذه الآية، فقال: هو عليعليه السلام لأن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيه خلاف وذكر صاحب كتاب النخب حديثاً مسنداً عن محمد بن مؤمن الشيرازي بإسناده إلى السدي في تفسير هذه الآية، قال: أقبل صخر ابن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد هذا الامر بعدك لنا أم لمن؟ فقال: يا صخر الامر من بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى، فأنزل الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١﴾ فمنهم المصدق بولايته وخلافته، ومنهم المكذب بهما، ثم قال: كلا وهو رد عليهم سيعلمون خلافته بعدك أنها حق بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾، يقول يعرفون ولايته وخلافته إذ يسألون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميت في شرق ولا في غرب ولا بحر ولا بر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنينعليه السلام بعد الموت،

(١) القرآن وإعجازه العلمي- محمد اسماعيل ابراهيم ص ١٦٤ .

يقولان للميت: من ربك؟ وما دينك ؟ ومن نبيك؟ ومن إمامك ؟

وروي أيضاً: حدثنا أحمد بإسناده إلى علقمة أنه قال: خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح وفوقه مصحف وهو يقرأ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: ١-٢]، فأردت البراز إليه، فقال علي عليه السلام: مكانك، وخرج بنفسه فقال له: أتعرف النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ؟ قال: لا، فقال عليه السلام: أنا والله النبأ العظيم الذي فيه اختلفتم، وعلى ولايتي تنازعتم، وعن ولايتي رجعتم بعدما قبلتم، وببغيكم هلكتم بعدما بسيفي نجوتم، ويوم الغدير قد علمتم، ويوم القيامة تعلمون ما عملتم، ثم علا بسيفه فرمى برأسه ويده [(١)].

قال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾

س - ما المقصود بهذه الالفاظ .

ج - ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١﴾ هي الملائكة تنزع أرواح الكفار عن أبدانهم بالشدة كما يغرق النازع في القوس، فيبلغ بها غاية المدى ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢﴾، هي الملائكة تنشط انفس المؤمنين فتقبضها كما تنشط العقال من يد البعير ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣﴾، هي الملائكة تنزل من السماء مسرعة سابحة في الهواء كما تسبح الفرس الجواد إذا اسرعت في الجري ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤﴾، هي

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٦٣ ص ٢ .

الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾، هي الملائكة التي تدبر أمر العباد طيلة السنة.

قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)﴾

س - ان ﴿قلوب﴾ نكرة، ولا يجوز الابتداء بالنكرة، وما معنىٰ واجفة؟

ج - إنما جاز الابتداء بها لأنها موصوفة بقوله ﴿واجفة﴾، وابصارها خاشعة خبرها، فهو كقوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾.

ومعنىٰ الواجفة: الشديدة الاضطراب. وقيل: معناه يوم تضطرب الأرض اضطراباً شديداً، وتتحرك تحركاً عظيماً، يعني يوم القيامة[1].

قال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١)﴾

س - ما هو الأبّ.

ج - هو المرعى والكلأ بقرينة عطفه على الفاكهة.

وقيل: ثمر الاشجار التي فيها النفع والالذاذ، يقال تفكه بكذا إذا استعمله للاستمتاع به والفاكهة تكون رطبة ويابسة. والاب المرعى من الحشيش وسائر النبات الذي ترعاه الانعام والدواب،

---

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج١٠ ص٢٥٤.

ويقال أبَّ إلى سيفه فاستله كقولك: هب إليه وبدر إليه، فيكون كبدور المرعى بالخروج .

قال الشاعر:

جـــدنـــا قـــيـــس ونـــجـــد دارنـــا

ولـــنـــا الاب بهـــا والمكـــرع[1]

وفي إرشاد المفيد روي أن أبا بكر سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾، فلم يعرف معنى الاب من القرآن، وقال: أي سماء تظلني ام أي أرض تقلني أم كيف أصنع إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم اما الفاكهة فنعرفها وأما الاب فالله اعلم به فبلغ أمير المؤمنينعليه السلام مقالته في ذلك فقال: سبحان الله أما علم أن الاب هو الكلاء والموعى وأن قوله سبحانه وفاكهة وأباً اعتداد من الله بإنعامه على خلقه فيما غذاهم به وخلقه لهم ولأنعامهم مما تحيى به أنفسهم وتقوم به أجسادهم[2].

قال تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾

س - الوجه أن يقال ووالد ومن ولد، وما المراد بالوالد والولد.

ج - أكثر ما تستعمل (ما) في غير العاقل وقد تستعمل فيمن يعقل كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وكقوله تعالى:

(١) التبيان - الشيخ الطوسي ج ١ ص ٢٧٦ .
(٢)التفسير الصافي - الفيض الكاشاني ج ٥ ص ٢٨٦ .

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾، والتنكير انما هو للابهام المستقل بالمدح والتعجب والوالد والولد هما آدم عليه السلام وذريته.

قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾

س - ما وجه القسم بهذه الاشياء، وإلى أين يرجع ضمير ﴿جلاها﴾؟ و ﴿ما﴾ هذه هل هي مصدرية أم بمعنى الذي، وما وجه تنكير ﴿ونفس﴾؟

ج - اقسم بهذه الاشياء لما فيها من الدلالة على عظيم قدرته ولكثرة الانتفاع بها، ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطلوع الشمس وغروبها، وان للقمر تأثيرات فلكية؛ والنهار هو الذي جعله للمخلوقات معاشاً، والليل سباتاً، وغيرها مما لا يخفى عظيم قدرة الله فيه، أقسم بها إذ إن له تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه، وضمير جلاها يعود إلى الظلمة أي جلاها وكشفها وجازت الكناية عن الظلمة ولم تذكر، لأن المعنى معروف غير ملتبس، و﴿ما﴾ ههنا بمعنى الذي وليست مصدرية لقوله بعد ذلك: فألهمها فجورها وتقواها وقد تأتي ﴿ما﴾ لمن يعقل. وإنما نكر النفس لأنه أراد بذلك التكثير على الطريقة المذكورة، في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾﴾

قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⁂٨⁂﴾

س – كيف صح أن يلهمها ذلك، وهذا يدل بظاهره على أن الخير والشر من الله سبحانه؟

ج – معنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما واعقالهما، وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينها من اختيار احدهما، بدلالة قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ⁂٩⁂ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ⁂١٠⁂﴾، فجعله فاعل التزكية والتدسية، والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى، والتدسية النقص والإخفاض بالفجور.

قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ⁂٥⁂﴾

س – (اللام) للتأكيد، و(سوف) للتأخير، فكيف ناسب الجمع بينهما.

ج – معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر، لما في التأخير من المصلحة .

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ⁂١١⁂ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ⁂١٢⁂ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⁂١٣⁂ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⁂١٤⁂﴾

س – أين جواب قوله: ﴿أرأيت إن كان على الهدى.﴾

ج – هو محذوف، دل عليه جواب الشرط الثاني، تقديره: أرأيت ان كان على الهدى أو أمر التقوى، ألم يعلم هذا المكذب فإن لم يعلم فليعلم بأن الله يرى منه هذا الصنيع الشنيع.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾

س – كيف كان ينزل القرآن؟ ولماذا أنزل في ﴿ليلة القدر﴾ دون غيرها؟ وما وجه تسميتها ﴿ليلة القدر﴾؟

ج – أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور في ليلة القدر، ثم كان ينزله جبرئيل عليه السلام على محمد ﷺ، وكانت مدة إنزاله ثلاثاً وعشرين سنة وفي الحديث الصحيح انه نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طوال ثلاث وعشرين سنة ونزلت صحف ابراهيم عليه السلام في أول ليلة من شهر رمضان وانزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان وأنزل الزبور لثماني عشرة خلون من شهر رمضان والانجيل لثلاث عشرة منه وأنزل القرآن في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان: وإنما انزل في﴿ليلة القدر﴾، إظهاراً لشأنها بانزاله فيها وإعلاماً منه سبحانه بما لها عنده من مكانة وللعاملين فيها من كرامة وسميت ﴿ليلة القدر﴾ لأنه سبحانه يقدر فيها الاعمار والارزاق، إلى مثلها في السنة القادمة، وهي ليلة مباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣-٤].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

س- ما الفرق بين الواحد والاحد.

ج - الفرق من ثلاثة وجوه:

الأول: الواحد هو المتفرد بالذات، والاحد هو المتفرد بالمعنى.

وقال الازهرى: الفرق بين الواحد والاحد أن الاحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، تقول: ما جاءني أحد، والواحد: اسم بني لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول: جاءني أحد، فالواحد منفرد بالذات، في عدم المثل والنظير، والاحد منفرد بالمعنى.

الثاني: ان الواحد يستعمل في الاعداد الحسابية، ويمتنع استعمال الاحد فيها.

الثالث: ان الواحد أعم، لأنه يطلق على من يعقل وعلى غيره، والاحد لا يطلق إلا على من يعقل.

وفي الفروق اللغوية: الفرق بين واحد وأحد: أن معنى الواحد أنه لا ثاني له فلذلك لا يقال في التثنية واحدان كما يقال رجل ورجلان، ولكن قالوا اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر، وأصل أحد أوحد مثل أكبر وإحدى مثل كبرى فلما وقعا اسمين وكانا كثيري الاستعمال هربوا في إحدى إلى الكبرى ليخف

وحذفوا الواو ليفرق بين الاسم والصلة وذلك أن أوحد اسم وأكبر صفة والواحد فاعل من وحد يحد وهو واحد مثل وعد يعد وهو واعد، والواحد هو الذي لا ينقسم في وهم ولا وجود، وأصله الانفراد في الذات على ما ذكرنا[1].

وقيل: الواحد: هو الذي لا يتجزأ، ولا يثنى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثل. ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله تعالى[2].

وقد روي عن الحميرى عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن يعقوب السراج قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: ان بعض أصحابنا يزعم ان لله صورة مثل الانسان وقال آخر: انه في صورة أمرد جعد قطط، فخر أبو عبد الله عليه السلام ساجداً ثم رفع رأسه فقال: سبحان الله الذى ليس كمثله شيء ولا تدركه الابصار ولا يحيط به علم، لم يلد لان الولد يشبه أباه، ولم يولد فيشبه من كان قبله، ولم يكن له من خلقه كفواً أحد، تعالى عن صفة من سواه علواً كبيراً[3]

وانه تعالى شيء لا كالاشياء احد صمد لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ولم يكن له كفء احد ولا ند ولا ضد ولاشبه ولا صاحبة ولا مثل ولا نظير ولا شريك لا تدركه الابصار والاوهام وهو يدركها لا تأخذه سنة ولانوم وهو اللطيف الخبير خالق كل شيء لا اله الا هو له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين. ومن قال بالتشبيه فهو مشرك[4].

(١) الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري ص ٥٦٤ .
(٢) النهاية في غريب الحديث - ابن الاثير ج ٥ ص ١٥٩ .
(٣) الايضاح - الفضل بن شاذان الأزدي ص ٢١٠ .
(٤) الاعتقادات - الشيخ المفيد ص ٢٢ .

قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

س - إن ﴿لم﴾ حرف لنفي الشيء في الزمان الماضي فقط، وهنا لا يدل قوله تعالى: ﴿لم يلد﴾، إلا على عدم مجيء ولدٍ له في الزمان الماضي، دون ما عداه من الزمانين الحاضر والمستقبل، وكذلك قوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾، فإن مجيء ولدٍ له ووجود كفو له في المستقبل لا تنفيهما ﴿لم﴾، والوجه أن يكون النفي بـ (لا) لأنها تنفي مدخولها عن الازمنة الثلاثة ولهذا عدل عن (لم) إلى (لا) في دعاء الافتتاح في شهر رمضان: الحمد لله الذي يخلق ولم يخلق ويرزق ولا يرزق، ولو قال ولم يرزق، لما نفى ذلك عن صفحة الزمان الآتي.

ج - إن الله أثبت لنفسه الوحدانية وأنه قبل كل شيء واحد أحد وهو معنى القدم، ثم أثبت لنفسه الازلية بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، أي الثابت المستمر ومن كان قديماً وأزلياً، فهو بحكم العقل غير مفتقر إلى شيء غني بنفسه، لأن ذلك من صفات الحادث ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ رداً على القائلين ان عزيراً والمسيح ابنا الله، وان الملائكة بنات الله وليس الغرض نفي الولدية عنه في الزمان الماضي بل الرد عليهم والتكذيب لهم وعدم وجود ولد له معلوم من قدمه وازليته، لأن ذلك من عوارض الحادث لا القديم. وقوله. ولم يولد. تثبيت لمعنى القدم بصورة أجلى إذ لو كان مولداً لكان قبله شيء ولد منه ولخرج عن كونه قديماً وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، الكلام فيه هو ان الله قديم ازلي والكفو يجب أن

يكون قديماً أزلياً وإلاّ لم يكن له كفواً أحد في الازمنة الماضية وإذا لم يكن في الزمان الماضي أحد هو كفو له سبحانه لا يعقل وجوده فيما عداه من الازمنة وإذا وجد فلا يكون كفواً لأنه حادث غير قديم لخلو صفحة الزمان الماضي منه.

وقد روي عن الإمام الباقرعليه السلام انه قال: والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ولا ناهٍ.

وكان محمد بن الحنفية يقول: الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره. وقال غيره: الصمد المتعالي عن الكون والفساد. والصمد الذي لا يوصف بالنظائر.

وسئل علي بن الحسين زين العابدينعليه السلام عن الصمد، فقال: الصمد الذي لا شريك له، ولا يؤوده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء.

وقال أبو البختري، وهب بن وهب القرشي: قال زيد بن عليعليه السلام: الصمد الذي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون. والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأصنافاً وأشكالاً وأزواجاً، وتفرد بالوحدة بلا ضد، ولا شكل، ولا مثل، ولا ند.

قال وهب بن وهب: وحدثني الصادق جعفر بن محمدعليه السلام، عن أبيه الباقرعليه السلام أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن عليعليه السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وإن الله قد فسر سبحانه الصمد فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣-٤]. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لم يخرج منه شيء كثيف، كالولد، ولا سائر

الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا ينبعث منه البدوات كالسنة والنوم، والخطرة والغم، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والرجاء، والرغبة والسآمة، والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف. ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ أي ولم يتولد من شيء، ولم يخرج من شيء ، كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار. ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، والنار من الحجر. لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشىء الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، عالم الغيب والشهادة، الكبير المتعال.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ قال وهب بن وهب: سمعت الصادق عليه السلام يقول: قدم وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل، فأجابهم عنها، ثم سألوه عن الصمد فقال: تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف (فالألف): دليل على أنيته، وهو قوله عز وجل ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس (واللام): دليل على إلهيته، بأنه هو الله. والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان، ولا يقعان في السمع، ويظهران في الكتابة ، دليلان على أن إلهيته بلطفه خافية، لا يدرك بالحواس، ولا يقع في لسان واصف، ولا أذن سامع، لأن تفسير الإله هو الله الذي أله الخلق عن درك ماهيته وكيفيته، بحس

أو بوهم، لا بل هو مبدع الأوهام، وخالق الحواس، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة، فهو دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق، وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة. وإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه، كما أن لام الصمد لا يتبين، ولا يدخل في حاسة من حواسه الخمس. فلما نظر إلى الكتابة، ظهر له ما خفي ولطف. فمتى تفكر العبد في ماهية الباري وكيفيته، أله وتحير، ولم تحط فكرته بشيء يتصور له، لأنه تعالى خالق الصور. وإذا نظر إلى خلقه، ثبت له أنه، عز وجل، خالقهم، ومركب أرواحهم في أجسادهم وأما (الصاد) فدليل على أنه سبحانه صادق وقوله صدق، وكلامه صدق، ودعا عباده إلى إتباع الصدق بالصدق، ووعدنا بالصدق، وأراد الصدق. وأما (الميم) فدليل على ملكه، وأنه الملك الحق المبين، لم يزل، ولا يزال، ولا يزول ملكه. وأما (الدال) فدليل على دوام ملكه، وأنه دائم، تعالى عن الكون والزوال، بل هو الله، عز وجل، مكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن[1].

---

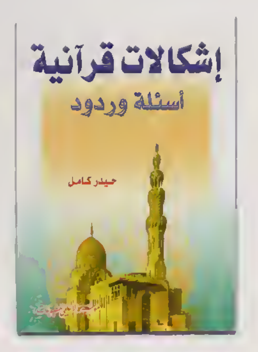
(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ١٠ ص ٤٨٧ .

المصادر

القرآن الكريم.
أسد الغابة – ابن الاثير.
اسباب النزول – الواحدي.
املاء مامنّ به الرحمن – ابو البقاء العكبري.
الاعتقادات – الشيخ المفيد.
البداية والنهاية – ابن كثير.
الباقلاني – ابو البركات الانباري .
السنن الكبرى – النسائي
السنن الكبرى – البيهقي
المستدرك – الحاكم النيسابوري .
النهاية في غريب الحديث – ابن الاثير .
التبيان في آداب حملة القرآن – النووي .
الغدير– الأميني.
الكافي – الكليني.
المصنف – ابن أبي شيبة الكوفي.
البرهان – الزركشي.
الرافد في علم الأصول – تقرير السيد السيستاني للسيد منير.
الدر المنثور – جلال الدين السيوطي .
التبيان – الشيخ الطوسي .
الاحتجاج – الطبرسي.
الأمالي – الصدوق .
الإيضاح – الفضل بن شاذان .
البيان والتبيين – الجاحظ.
الفصول المهمة في أصول الأئمة – الحر العاملي.
الفصول المهمة – المالكي.
الصواعق المحرقة – ابن حجر.
الخضر بين الأنبياء – حيدر كامل.
الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري.
القرآن واعجازه العلمي– محمد اسماعيل ابراهيم.
الأمالي– السيد المرتضى.
بحار الأنوار – العلامة المجلسي .
تاريخ الخلفاء – السيوطي.
التفسير الصافي – الفيض الكاشاني .
تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي .

تفسير نور الثقلين – الشيخ الحويزي .
تفسير كنز الدقائق – الميرزا محمد المشهدي .
تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي .
تفسير الميزان – السيد الطباطبائي .
تفسير القرطبي – القرطبي .
تفسير ابن كثير – ابن كثير .
تفسير الإمام العسكري(ع) المنسوب الى الإمام العسكري(ع) .
التفسير الأصفى – الفيض الكاشاني .
تفسير فرات الكوفي– فرات بن ابراهيم الكوفي .
تفسير الميزان – السيد الطباطبائي .
تفسير الكشاف الزمخشري .
تفسير الثعالبي– الثعالبي .
تنزيه الأنبياء – الشريف المرتضى .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – الثعالبي .
جامع البيان – ابن جرير الطبري .
رياض الصالحين – يحيى بن شرف
دلائل النبوة – الأصبهاني .
ديوان المعاني – العسكري .
شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد .
صحيح البخاري .
صحيح مسلم .
كنز العمال – المتقي الهندي .
سنن الترمذي .
فتح الباري – ابن حجر .
فتح القدير – الشوكاني .
قصص الأنبياء – ابن كثير
شرح أصول الكافي – مولى محمد صالح المازندراني .
سيرة النبي(ص) ابن هشام الحميري .
تأويل الآيات – شرف الدين الحسني .
فقة القرآن – الراوندي .
عمدة القارىء ابن البطريق .
كتاب المسند – الامام الشافعي .
لسان العرب – ابن منظور .
مسند احمد .
مجمع البحرين – الشيخ الطريحي .
مجمع الزوائد – الهيثمي .
ميزان الحكمة – محمدي الريشهري .
مناقب آل ابي طالب – ابن شهر آشوب .
مواقف الشيعة – الميانجي .
مودة أهل البيت – مركز الرسالة .
نيل الأوطار الشوكاني .
نهاية الارب في فنون الأدب – النويري .
هامش تفسير الخازن .
وسائل الشيعة (آل البيت) – الحر العاملي .

الفهرس



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور - ص ب ٧١٢٠ / ١١
هاتف ٤٥٠٤٢٦ - فاكس ٤٥٠٤٢٧ /٠١

Published By Alaalami Library
Beirut - Lebanon P.O.Box 7120
Tel - Fax : 450427
E-mail:alaalami@yahoo.com.

WWW.ALAALAMI.COM